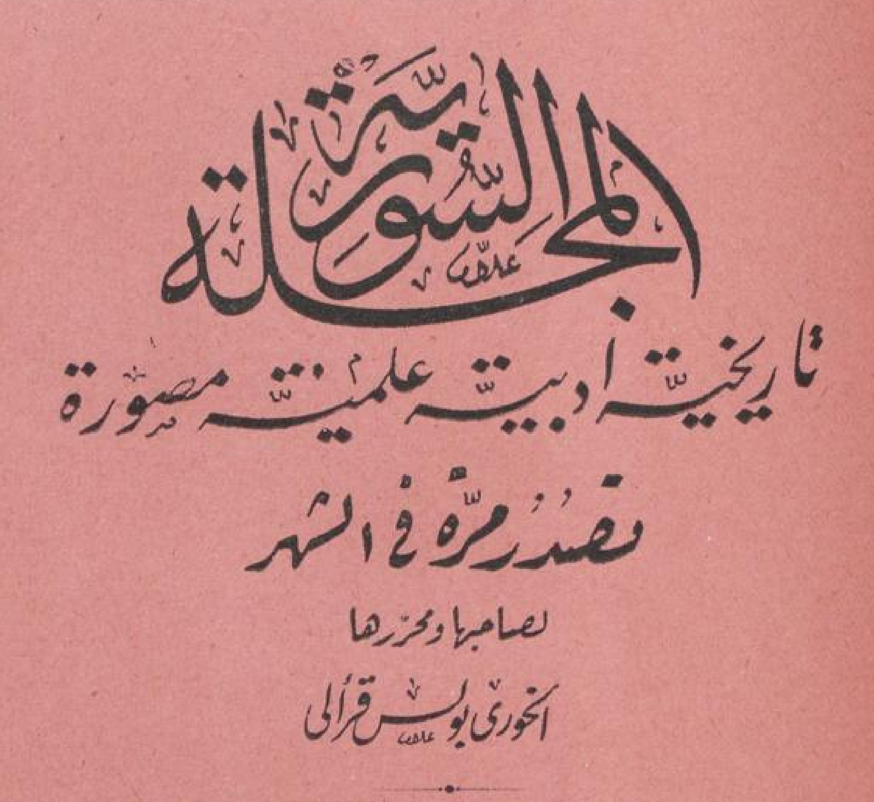
السنة الثانية   الجزء ٣   ١٥ مارس (آذار) ١٩٢٧



﴿ الإدارة بشارع دمنهور رقم ١٦ — مصر الجديدة — مصر ﴾

تليفون رقم ٢٥ — ١٠ (زيتون)

La Revue Syrienne

Mensuelle , Historique , Littéraire

PROPRIETAIRE — REDACTEUR

L'abbé Paul Carali

DIRECTION ; 16 RUE DAMANHOUR, HELIOPOLIS (EGYPTE)

TEL. No 10-25 (ZEITOUN)

ABONNEMENT ANNUEL EN EGYPTE P. T. 60

A L'ETRANGER 100 FRS - 3 DOLLARS ET DEMI - 14 SHILL.

2E Année N. 3 15 Mars 1927

طبعت بالمطبعة السورية بمصر الجديدة

اهم حوادث حلب

في النصف الاول من القرن التاسع عشر

نقلاً عن مفكرة مخطوطة

للمطران بولس اروتين

١ مذبحة الروم الكاثوليك سنة ١٨١٨

٢ ثورة الحلبيين على خورشد باشا سنة ١٨١٩

٣ خارطة حلب سنة ١٨١٨ — حي النصارى — زلزال سنة ١٨٢٢

٤ الهجوم على حي النصارى سنة ١٨٥٠

نشرها لاول مرة وعلق حواشيها

الخوري بولس قرألي

ثمنها

٦ غروش صاغ مصرية

وشلن ونصف في اوربا واميركا

تباع

في مكاتب الفجالة بالقاهرة

وفي المطبعة المارونية بحلب

وفي مكتبة المعارف ببيروت

وتطلب من ادارة المجلة السورية بمصر الجديدة — مصر

تلفون ٢٥ — ١٠ (زيتون)



تصدر مرة في الشهر

السنة الثانية　　الجزء ٣　　١٥ مارس (آذار) ١٩٢٧

حوران وجبل الدروز

على ذكر الثورة السورية

بقلم الشيخ بولس مسعد　　(تابع)

بطرا — اما عاصمتهم بطرا فمدينة صخرية قائمة في مستوٍ من الارض محاط بسلسلة من الصخور العظيمة . وموقعها في وادي موسى عند ملتقى طرق القوافل بين تدمر وغزه وخليج فارس والبحر الاحمر واليمن . وكانت في ايام الانباط عامرة حافلة بانواع المتاجر . ولما انقرضت دولتهم تخربت وانحط شأنها ونسجت عناكب النسيان على اسمها . ولم يبق منها الى اليوم سوى اطلال وآثار متهدمة تنم على عظمتها الغابرة ومجدها العريق . واهم هذه الآثار ما بقي من خزنة فرعون ، وهي بناء شامخ منقور في صخر وردي اللون على واجهته نقوش كتابية بالقلم النبطي . وبجانبه مسرح منقور في الصخر ويليه سهل واسع الاطراف فيه كهوف عليها كثير من النقوش اهمها كهف يقال له الدير . وهذه الكهوف كانت مساكن الحوريين القدماء . وهي الآن ملاجئ يأوي اليها الفقراء في فصل الشتاء فراراً من البرد والامطار . ويبلغ عددها نحو ٧٥٠ كهفاً او مدفناً .

واول من اسس بطرا الادوميون. وجاء في التوراة انها في ايام امصيا (٨٣٧ق.م) كانت حصناً منيعاً. وذكرت فيها باسم « سلاع » اي الحجر. فلما صارت الى الانباط وعرفها اليونان سموها بطرا بمعنى سلاع. وقد شاهد العرب آثارها بعد الاسلام وسموها « الرقيم » ولعلهم ارادوا بهذه التسمية « خزنة فرعون ». واشتهر هذا المكان في دولة بني امية وكان قبلة انظار الخلفاء ومحط رحالهم ولا سيما يزيد بن عبد الملك. وزعموا ايضاً انه المكان الذي حل فيه اهل الكهف. على ان علماء الآثار لم يوفقوا حتى الآن الى تعيين مكان الكهف الذي رقد فيه الاخوة السبعة رقادهم الطويل المأثور. وفي مكان واقع في الشمال الغربي من طرسوس احدى مدن ولاية آطنه المعروفة عند المؤرخين بمدينة مار بولس كهف كبير من التقاليد الموروثة عند سكان تلك الولاية انه الكهف المنسوب الى اولئك الاخوة.

وقال احد مؤرخي العرب في وصف عاصمة الانباط: « ان الرقيم مدينة بقرب البلقاء وهي صغيرة بيوتها منحوتة في صخر كأنها صخر واحد »

ويؤخذ مما كتبه المقريزي عنها ان بعض المماليك الذين هربوا من القاهرة في سنة ٦٥٢ هجرية شاهدوا اطلال بطرا ووجدوا فيها نقوداً قديمة من ضرب اليهود والانباط.

والخلاصة ان بطرا من المدن القديمة التي تنم آثارها على حضارة عريقة وتاريخ مجيد حافل بالحوادث الخطيرة والاعمال العظيمة. ولا ادل على ذلك مما لا يزال قائماً من ابنيتها ومشهوداً من مظاهر عظمتها التي تتجلى على الخصوص في ما هنالك من المدافن الأثرية الفخمة، التي هي اقرب الى الدور والقصور منها الى المدافن والقبور، وفي ما لا يزال شاخصاً للانظار من آثار هياكلها وقصورها وحماماتها وابوابها واسوارها واقنية المياه الممتدة اليها، والاعمدة الضخمة التي لا تزال قائمة في كل بقعة منها، والنقوش الجميلة التي تملأ ابنيتها، والصور البارزة والغائرة المرسومة على هذه الابنية الأثرية، مما يدل على ان اصحابها بلغوا شأواً بعيداً من الحضارة وان عاصمتهم

التي هي المثل الاعلى لحضارتهم هذه بلغت اقصى مراحل العمران . واهم ما يستوقف الابصار من آثارها ومعالم مجدها قصر فرعون او خزنة فرعون وهو هيكل ضخم متسع الجوانب شامخ البنيان فيه نقوش ورسوم جميلة دقيقة بينها صورة تمثل الالوهية، وتدل هندسته على انه من ابنية الرومان . وهناك هيكل آخر يعرف بالدير وهو يمتاز بفخامته ودقة بنائه وزخرفه . والمسرح وهو بناء ضخم منقور في الصخر وفيه ٣٣ صفاً من المقاعد الحجرية لثلاثة آلاف نفس . اما المدافن فاقدمها محاذية للمسرح وهي منقورة في الصخور المقابلة له ومقسومة الى اربعة صفوف الواحد فوق الآخر وما بقي منها واقع في جهات مختلفة من المدينة واهمها مدفن لم يتم نقره واقع بقرب قصر فرعون. وعدة مدافن رومانية مبنية على الطراز القورنتي البديع . ومدفن آخر يعرف بالقبر ذي الطبقات الثلاث. وهو اكبر مدافن بطرا وواجهته على مثال واجهات القصور العظيمة . ومدفن الحاكم وهو قبر سكتوس فلورنتيوس واسمه منقوش على مدخله بحروف لاتينية ويعد من افخم مدافن بطرا واجملها . ومدافن خربة النصارى وهي من اجمل مدافن المدينة . ومدفن الجند. ومدفن الجنينة وهو على مثال الهياكل . ومدفن الاسد وعلى مدخله تمثالان يمثلان اسدين عظيمين . وبناؤه يرتقي الى النصف الثاني من القرن الثالث للميلاد . وهناك ابنية اثرية اخرى بين هياكل وحصون ترتقي الى عهد الرومان والعرب والصليبيين واعمدة حجرية ضخمة اقيمت رمزاً للالوهية التي كانت تمثل في الهياكل عند جميع الشعوب السامية، وغير ذلك من الآثار التي لا متسع لذكرها في هذه العجالة

التنوخيون وبنو سليح والضجاعمة

وبعد ان انقرضت دولة الانباط ظهر التنوخيون اصحاب قضاعة وانشأوا دولاً في بلاد الشام والعراق وتملكوا معظم الاقطار والبلدان التى دانت لسلطان الانباط وفي جملتها حوران . ولم يطل عهدهم بالحكم فخلفهم قوم من قضاعة يقال لهم بنو سليح. وهؤلاء لم يكونوا اسعد حظاً منهم، فما كادوا يستقرون في البلاد ويشتد ساعدهم

ويستتب لهم الامر فيها حتى دهمتهم نوائب الدهر وقضت على دولتهم . فقام من بعدهم الضجاعمة وهم بطن منهم فبسطوا سيادتهم على القسم الاكبر من شمالي الجزيرة، فكانت حوران وما جاورها من الاقاليم في جملة ما دخل في حيازتهم . ولكنهم لم يتركوا فيها آثاراً تحيي ذكرهم وتنبيء باخبارهم ولم يلبثوا ان وطدوا اقدامهم فيها حتى اجتاحها الغساسنة بعد سيل العرم المشهور واكتسحوها

دولة الغساسنة

جاء الغساسنة من اليمن ونزلوا على ماء في تهامة يقال له غسان فنسبوا اليه . ثم ارتادوا مشارق الشام وفيها الضجاعمة فاجلوهم عنها وانشأوا لهم دولة تحت رعاية الروم . فنصبوا مضاربهم اولا في البادية بقرب حوران . ثم انتقلوا الى البلقاء وازرع . ولم يلبثوا ان استقر بهم المقام حتى عظم شأنهم واتسع نطاق مملكتهم ولا سيما في عهد الحارث بن جبلة واولاده حيث بلغت اقصى حدود اتساعها . وبسطوا نفوذهم على سائر بقاع الشام من حوران في الجنوب الى حلب في الشمال . فكان لسطوتهم صدى في كل صقع من هاتيك الاصقاع حتى تدمر، ودان لهم عرب سورية وفلسطين من بدو وحضر . وانشأوا المدن والقرى وشادوا كثيراً من القصور والمعابد والاديار والقلاع وبنوا القناطر واصلحوا الآبار . وكانت عاصمتهم بصرى في حوران وتعرف انقاضها الآن باسكي شام

ولقد تضاربت اقوال المؤرخين وتباينت آراؤهم في مدة ولايتهم . فزعم بعضهم انهم حكموا ستمئة سنة وان ملوكهم ٣٢ ملكا . وزعم بعض آخر ان مدة حكمهم لم تطل اكثر من قرن وبعض القرن وان عدد ملوكهم لا يتجاوز العشرة . وفي رواية « تاريخ العرب قبل الاسلام » انهم حكموا زهاء اربعمئة سنة . وقد صرفوا زمناً طويلاً في ضواحي الشام يتوارثون الامارة والروم لا يعرفون من امرهم شيئاً، مع انهم انشأوا دولتهم تحت رعايتهم، لانهم لم يفتقروا في بادىء الامر الى معونتهم لاعتدادهم بقوتهم . وما برحوا كذلك حتى تضعضعت احوال الدولة الرومانية بالحروب

الاهلية واقسمت على نفسها واستبد قسطنطين بالحكم وانصرف الى تأييد النصرانية، وكانت حروب الروم والفرس في اواسط القرن الرابع فاضعفت المملكة الرومانية. وفي اوائل القرن الخامس اخذ الروم يشعرون بضعفهم ورأوا الفرس يستنجدون عليهم عرب العراق فاضطروا الى استنصار عرب الشام وهم الغساسنة. فنصروهم وابلوا بلاء حسناً في حروبهم ضد الفرس فكافأهم الروم باعطاء امرائهم لقب ملوك غسان واختلطوا بهم وصاهروهم، وهو تنازل من الرومان لم يظفر به شعب من الشعوب الشرقية التي اخضعوها لسلطانهم. فتنصر الغساسنة على توالي الايام واصبحوا من اعظم انصار المسيحية في القرون الغابرة. واخص من ذكر من ملوكهم عمرو الاول (س ١٨٠ م.). وقد عني بامر النصرانية عناية كبرى. فازهرت في ايامه وشاد كثيراً من الكنائس والاديار.

واول من استنصره الروم من امراء الغساسنة الامير جبلة، نصرهم في سنة ٤٩٧ م. وهو والد الحارث اكبر ملوك غسان واكثرهم ذكراً في كتب اليونان (٥٢٩ — ٥٦٩). وكان الحارث عميل كسرى انو شروان ملك الفرس فاوعز اليه كسرى بمحاربة المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة فحاربه في سنة (٥٢٨ — ٥٢٩ م) ونصر الروم في وقائع كثيرة اولها واقعة السامرة فانتصر واطلقوا عليه اسم «باسيليوس» ومعناه في لسانهم «الملك». ثم لقبوه بالبطريق وهو لقب اشراف الروم وعمالهم. وعرف من ذلك الحين باسم «البطريق الحارث». وكان يلقب احياناً «فلابيوس» وهو من القاب القادة عند الروم. اما العرب فلم يحفظوا من القابه الا لقب الملك واطلقوه على سائر امراء هذه العشيرة عملاً بالقاعدة التي كانت متبعة قديماً في الديار السورية وهي ان يلقب رؤساء الامارات فيها بالملوك ولا سيما متى كانوا على جانب من السطوة واهلا لجلال الامارة وهيبتها، كما كانت الحال في لبنان مثلا حيث كان امراؤه يلقبون بالملوك يوم كانت مدينة جبيل قاعدة امارة لبنان الى آخر القرن الرابع للميلاد

وكان للحارث مقام رفيع عند الروم وبلغ من شهرته في الشجاعة وشدة الباس ان اسمه جرى مجرى الامثال واصبح مفزعة للاطفال تذكره الامهات على مسامعهم على سبيل التهديد . وكان من اكبر انصار بليزاريوس القائد الروماني المعروف في الحرب التي شهرها على الفرس (س ٥٣١ م) بصدهم وصد هجمات العرب المناذرة عن مملكة الروم . وكان على عرش الروم يومئذ يستنيانوس العظيم وعلى عرش ايران كسرى انو شروان . ثم كانت الحرب بين الغساسنة واللخميين عرب العراق . فكانت حرب طاحنة افضت الى سقوط قنسرين في قبضة الحارث بعد ان هلك فيها بعض ابنائه وقتل المنذر بن ماء السماء . وتلتها الحرب المعروفة بيوم حليمه. وكانت معركة هائلة بين عرب العراق وعرب الشام (الغساسنة) وقد قتل فيها ابن المنذر

وزار الحارث القسطنطينية في سنة ٥٦٣ م وهو الذي توسط لامرىء القيس في الذهاب الى ملك القسطنطينية بعد ان اودع السموأل دروعه في الحكاية المشهورة. وتوفي الحارث سنة ٥٦٩ م بعد ان صرف اربعين سنة في الحروب والغزوات . وخلفه ابنه المنذر المعروف بالنعمان وسمي بطريق . ونصر الروم في حروب كثيرة وزار القسطنطينية فرحب الروم به واكرموا مثواه والبسه الامبراطور طيباريوس التاج مع ان والده لم يلبس الا الاكليل . ويسميه المؤرخون « المنذر ملك العرب »

ثم توالى ملوك غسان ولم يذكر المؤرخون من اعمالهم شيئا يجدر بالذكر الا في اوائل القرن السابع حيث زحف الفرس على سورية سنة ٦١٣ م فتضعضعت دولة العرب فيها بذلك الفتح . وكانت حوران قبل ذلك قد اخذت في الانحطاط . ومنشأ هذا الانحطاط يرتقي الى اواسط القرن الثالث للميلاد يوم شرعت مملكة فارس في النهوض وبرزت تدمر الى ميدان الجهاد مجاراة لممالك الشرق الناهضة وتمكن الفرس من تحويل طرق التجارة من الجنوب الى الشمال وشقوا لها طريقا جديداً على الفرات والخليج العجمي . فانحط بذلك شأن حوران وعاصمتها بطرا وما برحت تنازع البقاء حتى غلبت على امرها وصارت الى ما صارت اليه الممالك المنقرضة

وآخر من ذكر المؤرخون من ملوك الغساسنة جبلة بن الابهم ظهر حين قام هرقل يريد استرجاع سورية من الفرس . وحكايته مع عمر بن الخطاب في صدر الاسلام مشهورة .

وصفوة ما يقال في نهاية دولة الغساسنة انها كانت نتيجة لقيام دولة العرب المسلمين وتعاظم نفوذها وانبساط رواق سلطانها في الديار الشامية . لان الغساسنة كانوا من حلفاء الروم اعداء العرب فكان من البديهي ان تشتد وطأة العرب عليهم . فلم يقووا على الوقوف في وجههم والثبات على مقاومتهم ولا سيما بعد ان ضعفت شوكة الروم واكرهوا على الجلاء عن معظم البلاد السورية ، خصوصاً بعد ان لقوا ما لقوا من بأس مردة لبنان وبسالة رجاله الابطال الذين جرت شجاعتهم مجرى الامثال . وما برح الغساسنة يغالبون الدهر حتى غلبوا على امرهم وتشتت من بقي منهم احياء في انحاء الديار الشامية وحل المسلمون محلهم . وكثيرون من هؤلاء لاذوا بنصارى جبل لبنان واستوطنوا سواحله الشمالية . وبين الذين يقيمون اليوم في تلك السواحل من يدعون انهم يمتون باصلهم الى بني غسان وفي ذلك آراء ليس هذا مقام ايرادها والتبسط في موضوعها .

آثار الغساسنة

اما الامكنة والابنية الأثرية التي ينسبها المؤرخون الى الغساسنة فاهمها قسطل في البلقاء واذرع من اعمال الشراة ، والجرباء على مقربة منها . وقد بنوا نجران ومعان . وشادوا من القصور قصر الغدير والقصر الابيض وهو يمتاز على سائر القصور التي شادوها بدقة نقوشه وجمال زخرفه . فانه حافل بصور منقوشة تمثل الطيور والخيول والفهود والاسود والبقر والفيلة والسمك . وفيه نقوش من الطراز الفارسي الساساني مما يبعث على الظن ان الغساسنة شيدوه بايعاز من الروم على حدود البادية لرد غزوات العرب عن البلاد . وقد بني في منبسط من الارض مربع الشكل ومحاط

بسور ضخم يعلوه برج شامخ . وقد كتب عنه الاستاذ دوسو الفرنسوي في معرض كلامه عن آثار تلك البلاد . فقال ما يؤخذ منه انه كان في اطراف حوران خط دفاع يفصل بينها و بين البادية مؤلف من عدة حصون ، منها القصر الابيض والمنارة ودير الكهف والقلعة الزرقاء . و بين هذه الحصون ابنية كلها من عهد الغساسنة

وينسب اليهم ايضاً قصر المشتى وهو قائم الى اليوم على علو شاهق تبرز منه نقوش جميلة وكتابات تقادم الدهر عليها ، وهي لا تزال تحدث بعظمة الغساسنة وحضارتهم . ومن الصروح التي شادوها قصر الفضا وقصر منار وقصر السويداء وقصر بركة وقصر ابين . ومن الاديار دير حالي ودير هنا ودير النبوة . وهذا علاوة على الابنية الاخرى العظيمة التي اقاموها نظير القناطر والجسور واهمها جسر عاملة، والصهاريج التي احتفروها في رصافة الشام وهي باقية الى اليوم. وغير ذلك كثير من الابنية والصروح والابراج التي ذكرها مؤرخو العرب والى الآن لم يهتد الباحثون الى اماكنها .

وفي جملة الابنية الاثرية التي تنسب الى الغساسنة دير ايوب وهو بناء ضخم قائم على رأس قمة في الشمال الغربي من قرية الشيخ سعد التي كانت في عهد الاتراك مركزاً لمتصرفية حوران ردحاً من الزمان . ويزعم بعض مؤرخي العرب ان عمرو الاول من ملوك بني غسان هو الذي انشأ هذا الدير . ولكن بعض الكتبة الغربيين ذهب الى ان انشاءه يرتقي الى اواسط القرن الثالث ولم يكن للغساسنة يد في ذلك. والذي يؤخذ من اقوال المؤرخين الثقات ان هذا الدير الذي هو اليوم معبد اسلامي مهجور ولم يبق قائماً منه سوى جناح صغير، كان كنيسة قديمة يرتقي انشاؤها الى عهد الغساسنة وقد بنيت تذكاراً لايوب البار الذي يذهب المؤرخون الى انه عاش في بلاد باشان ، وعلى قول بعضهم انه عاش في ارض الجولان . ومن المؤلفين العرب والكتاب المسيحيين الذين عاشوا في القرون الوسطى من قال انه وُلد في جوار قرية نوى . وفي الجهة الغربية من قرية الشيخ سعد بناء قديم يعرف بمقام ايوب ،

وهو المكان الذي دفن فيه ايوب البار وزوجته على زعم بعض المؤرخين . ومن احترام اهل حوران لهذا المقام ليستدل على انه يرتقي الى عهد سابق لظهور الاسلام

(لها تابع)

اكتشاف كنز ثمين في بترا

على ذكر بترا عاصمة الانباط يسرنا ان نذكر الاكتشاف الخطير الذي عثر عليه اخيراً . وقد قرأنا خبره في جريدتي الشعب وفلسطين :

قالت جريدة الشعب : (نيويورك)

بترا — الصخرة — أو مدينة الوردة الحمراء كما يدعونها — القديمة العهد التي عاصرت سليمان وملكة سبا — القائمة خراباتها الى اليوم عند البادية في شرقي الاردن بين خليج العقبه والبحر الميت — أو بحيرة لوط ، هي اليوم موضوع الصحافة الانكليزية وستكون موضوع صحافة العالم عما قريب . فكنوزها الثمينة تفوق كنوز قبر توت عنخ آمون وذهبها الثمين وحجاراتها الكريمة المحفورة والمنقوشة ستكون حديث هذا الجيل والاجيال المقبلة . . .

لم يهتد الاوروبيون قبل الآن الى خرابات هذه المدينة وما فيها من التحف ، ذلك لان العرب منعوهم قبل الحرب من الاقتراب اليها . وفي سنة ١٩١٢ حاول أحد الاثريين الالمان ومعه عدد كبير من العمال القيام بحفر تلك الخرابات فلم يمكنه العرب من غايته واضطروه ومن معه الى الابتعاد عنها . وهكذا قام البدو على حراستها الى الايام الاخيرة .

كانت بترا منذ ألوف من السنين عاصمة مملكة كبيرة تدعى مملكة الانباط وهم قوم من العرب تغلبوا على أدوم قبل المسيح بمئات من السنين . وكان ملكهم يمتد شمالا الى دمشق وغرباً الى ما بعد غزه وشرقاً الى أواسط البلاد العربية . وكانت تلك المملكة مجموعة قبائل من العرب قبضوا على مفتاح التجارة وطرق القوافل و بينهم

كثيرون ممن نبغوا بفن الملاحة والقرصنة . حتى ان الملك سليمان وملكة سبا كانا يرسلان بواسطتهم الاحمال براً وبحراً . وكانوا في التمدن يفوقون الفينيقيين ، وأموال شمالي افريقيا وأسيا تتدفق على خزائنهم . وقد اشتهر رجالهم بالبسالة والفنون الحربية فلم يغلبوا على أمرهم في حرب الى ان دوهموا بكارثة قضت عليهم بالفناء وتركت ديارهم اطلالاً بالية .

وحدث مؤخراً طبقاً لرواية « وست منستر غازت » ان بدوياً قصد خرابات « بترا » فوقف بالصدفة متأملاً بها فشعر باهتزاز تحت قدميه . واذا به يرى بلاطة قد فتحت وشاهد فوهة كبرى مظلمة فنزل فيها يسير في ظلام حالك مسافة نصف ميل حتى وصل الى غرفة كبيرة وهناك شاهد ستة دهاليز يدخلها النور فتصل الى جبل وفي وسط تلك الغرفة وجد (خابية) من الفخار مملوءة بنقود ذهبية عليها نقوش مختلفة وحجارة ثمينة من الزمرد والياقوت واللؤلؤ فأخذ يملأ جيوبه وثيابه وما استطاع حمله . ثم عكف راجعاً الى باب المغارة الذي دخل منه عند غروب الشمس . وفي اليوم الثاني قصد البدوي مع أفراد عائلته تلك الناحية لينقلوا ما يستطيعوا نقله من الكنز وعبثاً حاول ان يفتح باب المغارة أو يزحزح تلك البلاطة . فعاد ادراجه وقصد السوق ليبيع بعض ما معه من الجواهر فألقى عليه القبض رجال الشرطة الانكليز بدعوى انه لص . ولكنه بعد اللتيا والتي اعترف بما وقع له وكيف حصل على هذه الثروة . وللحال عرض رجال الشرطة واقعة الحال على المندوب البريطاني السامي الذي خابر لندن والمتحف البريطاني تلغرافياً بحقيقة ما هنالك .

واليك ما تم في امر هذا الاكتشاف نقلاً عن جريدة فلسطين (يافا) :

حمل البرق من لندن ان احد علماء الآثار البريطانيين عثر على كميات كبرى من الذهب والحلى مدفونة في بلاد العرب يظن انها من بقايا اسلاب القرصان الذين كانوا يدفنون كنوزهم في الارض . وقد ارسل المتحف البريطاني كما تروي جريدة

الوستمنستر غازت بعثة الى موضع مدينة البتراء الواقعة بين خليج العقبة والبحر الميت للبحث عن بقية الكنوز .

ويستدل بهذه الحلى التي وجدت على انها ترجع الى عهد قديم جداً . ويظن العلماء الاثريون ان الموضع الذي وجدت مخبوءة فيه قديم قد يكون لا يزال فيه من الحلى والجواهر ما تتضاءل امامه كنوز توت عنخ امون

وان ما وجد من الاثار حتى الان هو ملك للعالم الاثري الذي لم يذكر اسمه بعد ويتألف من عروة ذهبية كريتية تعود بعهدها الى اقدم ازمنة التاريخ وسواها من القطع التي لا تعادلها قيمة من الوجهة التاريخية

استحصل العالم البريطاني على هذه الاثار في القدس اذ ابتاعها من شيخ عربي مهمته حراسة الذين يطوفون مجاهل جزيرة العرب الشمالية وقد وقعت بيده صدفة وظل عدة اشهر يبحث عن الموضع الذي وجدت الاثار فيه حتى عرف ان بعض البدو عثر عليها على مقربة من البتراء

وبحسب رواية البدوي ان بعضاً من البدو نزلوا قرب البتراء وبينما كان احدهم يرتاد المغاور هناك عثرت رجله بحجر متقلقل فازاحه فاذا تحته هوة سقط هو ذاته فيها وعجز عن الصعود، وتوغل فاذا امامه غرف عديدة تحتوي على كوم من الذهب والجواهر . وبعد ان هام مدة في تلك المجاهل تمكن من العثور على مخرج وباع ما كان قد التقطه في اثناء سيره هناك

وقد علق علماء الاثار الانكليز اهمية على رواية هذا البدوي ولهذا ارسلت بعثة منهم الى البتراء ، التي عثر بوركهاردت الرحالة الالماني سنة ١٨١٢ عليها، بعدان كانت مجهولة الموضع منذ اجيال عديدة ولا يدخل اليها الا من ممر واحد اشبه بكهف يبلغ عرضه اثنتي عشر قدماً. ولم يستطع علماء الاثار التوصل اليها قبلا لصعوبة الوصول وللخطر المنتشر هناك من القبائل البدوية

وقد كانت هذه المدينة عاصمة لقبيلة عربية قديمة قهرت مملكة ادوم وفي السنة المئة قبل المسيح امتدت اطرافها الى شمالي دمشق وغربي غزه .

اهم حوادث حلب

في النصف الاول من القرن التاسع عشر

نقلاً عن مفكرة للمطران بولس اروتين

نشرها لاول مرة وعلق حواشيها الخوري بولس قرألي

القسم الرابع — ثورة سنة ١٨٥٠ (تابع)

فلما اسفر صبح الخميس اخذ الرعب والخوف قلوب المسيحيين الساكنين الصليبه، وطفقوا يفكرون في تدبير طريقة لحماية الصالح الشهير. فاجتمع بعض من الاكابر في دار الاسقفية للروم الكاثوليك وتشاوروا مع بعضهم ، غير ان اجتماعهم هذا قد كان عديم النتيجة والنفع . بل ان السماح الالهي المبرم قد اظلم عقولهم بهذا المقدار حتى انهم لم يستدركوا الامر الذي استدركته طايفة اليهود ، الذين اذ عاينوا الفتنة الحادثة ارسلوا حالا مبلغاً من الدراهم الى عبد الله بانيسلي طالبين منه ان يصد عنهم الضرر محامياً . وهكذا ارسلوا فاجابوا كام نفر سكمان لمحافظة محلاتهم (اعلم قولي سكمان اي جماعة من اهل البلد ذاتهم بل ومن الناهبين انفسهم الذين كانوا تارة يحمون البعض وتارة ينهبوه) . وبهذه الواسطة نجت اليهود كلهم من هذا البلا حتى ان القوم اذ كانوا ينهبون ، فكانوا ينهبون دكان المسيحي ويتجاوزون دكان اليهودي التي تلاصقها . فيا لخسافة عقول ويا لسوء تدبير اكابر وعقلاء المسيحيين الذين غب ان سمعوا وعاينوا الدمار الجسيم الذي حلّ باخوتهم في الصوايح الخارجة ليلاً، فلم يفتكروا سوى ان يرتأوا في ان يحصنوا البوابات بالاخشاب والاحجار بنوع يستاهل الضحك ، كانه يوجد لديهم جانب من المدافع وجم غفير من الابطال المحاربين . الا ان القضاء المبرم لا مناص منه فاسمع ما جرى : فما كان ساعتين من اشراق الشمس الا وتجمعت جماهير الناهبين من جميع اقطار

البلد ، ولحقهم جمع وافر من القرى والبدو ومن رعاع الاطراف ، ودقت طبولهم المفزعة وعلت اصواتهم المهولة بالصياح والتكبير والاغاني صارخين «الله اكبر عالصليبه . اليوم يوم التضحية يوم الغنيمة يوم النصر والغلبة على الكفرة. من كان مسلماً فليلحقنا» ونساؤهم معهم تهيجهم بالصياح والظراعيط ، حتى خلنا ان الجحيم قد فتحت فاها وقذفت من كان داخلها علينا . واحتاطت القوم بما يدور الصايح وابتدت تضرب البوابات بالفاسات والآلات الحديدية ضرباً قوياً جداً . فيا لقلوب المسيحيين وقتئذ كم حصل بها من الخوف والرعب حينما سمعوا بآذانهم تلك الاصوات ونظروا باعينهم تلك الالوف المستكلبة التي لا يعرف عددها غير الله ، يلتفتون يمنة ويسرة فلا يشاهدون لهم معيناً ولا شفيقاً . ولم يجسر احد منهم ان يخرج حينئذ خارج داره بل ان الذي على السطح لم يعد يجسر ان ينزل ليرفع ما في بيته. فكنت تعاين الرجال ترتجف فرقاً والنساء مع الاولاد يبكون وهيهات عاد يفتكر اخ في اخيه

ولما كلت ايدي القوم من ضرب البوابات وعجزوا عن كسرهم ، فاستعلى واحد منهم الحايط وبيده فأساً وقلب الى داخل وضرب حالا قفل البوابة المعروفة بابن ياسمين ورفع الاخشاب من خلفها وفتحها لهم. ودخل ذلك الجمع الذي لا يعرف كميته غير الله وحده ، وطفقوا يكسرون ابواب الدور ويدخلونها ناهبين وضاربين وجارحين وقاتلين لكل من وجدوه . فالمسيحيين منهم من كان يختفي في المقابر ، ومنهم من كان يطرح بنفسه الى محل اخر ومنهم من يضرب ومنهم من يقتل . وحينئذ لا عدت تسمع سوى صراخ وعويل وبكاء وولاول وضرب قواسات وتكسير بصرامة اعظم مما تقدم ليلاً ، لان القوم عارفة كما بالحقيقة ان الكنوز الثمينة هي في هذا الصايح موجودة . فمن ثم نيران حسدهم اضرمت في قلوبهم قساوة اعظم مما تقدم شرحه في الصوايح الخارجة . لانهم كانوا في كل دار يمسكوا من وجدوه ذكراً ام انثى ، ويضربوه بالسيوف والعصي والخناجر لكي يقروا لهم عن الذهب والفضة والالماس اين موضوع . وان

كان وجد أحدهم اخفى شيء من ذلك فكان لشدة ما ينال من الضرب والجراحات العميقة يقر لهم عن المكان الذي اخفى فيه الاشياء الثمينة ولو كانت في اعمق الابيار ، فكانوا ينزلوا يخرجونها

ولكن فلنأخذ قليلا بشرح ما حصل في الكنايس . وهو انهم احتاطوا اولا بكنيسة السريان وهي الثانية بعد البوابة المذكورة تلك التي قد كان وقتئذ داخلها خلق كثير مختبئين بها مع اموالهم ، ولما لم يقدروا ان يكسروا بابها الحديدي فمنهم من تسلق على الاسطحة من حارة شتما ، ومنهم من كسر باب المدرسة ودخلوا اليها وفتحوا باب الحديد ونهبوا جميع موجوداتها وخزقوا الايقونات ، حتى تلك الايقونة الشهيرة صورة سيدتنا مريم العذراء ، وطرحوا القربان المقدس متوطئينه بارجلهم . واخيراً من بعد ان نهبوا كامل الموجود بها القوا بها الحريق . وخرجوا منها الى قلاية السيد البطريرك بطرس جروه فضربوه وجرحوه جراحات مميتة حتى ظنوه قد مات ، وجرحوا الكهنة الموجودين واعوام وقتلوا المرحوم فتح الله يقين ؟ ونهبوا ايضاً القلايتين المختصات بالسريان واضرموا بهما الحريق ايضاً . فتلاحق الحريق مع بعضه واخذ يمتد ويعلو . وابقوا غبطته مجرحاً ما بين ميت وحي ، وخلق كثير من كهنة وعوام مجرحين ودماؤهم سايلة والحريق مشتغلاً . فسخر ربنا واحداً من الاسلام رفع البطريرك الى بيته (اي المسلم) وكانت القوم تطلب بلجاجة قتل السيد مكسيموس مظلوم بطريرك الروم الكاثوليك ، لانهم ما كانوا يحتملون تلك الشهرة التي اظهرها في حلب .

فدخلوا قلايته ونهبوها وكذلك كنيسته الكبيرة المشتهرة والقوا حريقاً عظيماً في الكنيسة بعد نهبها وكسروا حتى احجارها في الارض . اما غبطته والمطران ديمتريوس فاختبئا في مغارة عميقة ذاك اليوم . فعلق الحريق في الكنيسة حتى هدم كل ما يدور الكنيسة من كابلاً ومدرسة وبيوت ودور وبيت النسا . اما الكنيسة فمن كون سقفها قبو فلم تهبط ، بل بقيت جدرانها وسقفها قايم . انما اضحت كالتنور

ملتحفة بالسواد مهدوم كل ما يدورها ، وابقوها بحالة محزنة جداً . وهكذا فعلوا بدار اسقفية الروم الملكيين التي كانت مبنية معبداً لهم عوضاً عن كنيستهم التي كانوا يعمرونها بوقته . وجميع اواني كنيستهم وفضتها في الدار المذكورة . فمن بعد ان نهبوها القوا فيها الحريق ايضاً . واما كنيسة الارمن الكاثوليك فانهم نهبوها وكسروا جميع ما بقي من ثريات وبلور ومذابح وتركوها فقط سالمة . واما كنيسة الموارنة التي بعد لم ينجز عمارها مع كنيستي الارمن القدم فلم يدخل اليهم أحد بل حفظهم الله من شرهم . غير ان الموارنة لاجل العمارة فكانوا قد وزعوا جميع فضي واواني كنيستهم الى بيت الكلداني وبيت كنيدر . ومن كون جميع البيوت والحواش انتهبت فمن الجملة انتهب جميع اواني واموال كنيسة الموارنة من عند المذكورين وقتل المرحوم القس جبرايل كلداني الماروني والمقدسي نعمة الله حمصي وخادمه وخادم الارمن ووانس الحلاق ويوسف قصاب الساكن في محلة الشرعسوس . ولان هناك شيدت الروم الكاثوليك كنيسة مزخرفة فمضت القوم نهبتها واحرقتها . وما زالت القوم في نهب وضرب وسلب وقتل حتى المساء . فيا له من يوم مهول قد اعتبرنا هول الموقف الاخير به . يا لها من ساعات مخوفة محزنة . يا لها من مناظر قاسية تفتت صلابة الصخور . لانك كنت تشاهد النساء في الازقة مفضوحات والرجال مجرحة يسيل دماؤها من كل جانب والاولاد تصرخ والاطفال تبكي والسنة النار متعالية من كل اقطار المحلة ، والشمس منكسفة من تكاثف الدخان والقتلا مطروحين والبيوت خربة والاموال منهوبة والكنايس مهدومة . فالتيجان المرصعة بالجواهر تشاهدها بايدي اجرات القصابين ، والكاسات الذهبية والمباخر والقناديل مع الثريات الفضة يكسرونهم بالحجارة ، والشالات الكشمير والملابس المزركشة المكلفة والقلايد الذهب والقطع المجوهرة بايدي الزبالين ، واللؤلؤ الثمين اضحى يباع بميزان الجزر منهم . وحقاً لا تسع الصحف شرح كمية الاموال المنهوبة . انما حسبما قدرت اولا اولو الالباب ان المال المنهوب من النصرانية يومها ينوف عن مبلغ خمسين الف كيس

ما عدا الخراب الذي تم بالحريق والهدم والتكسير ينوف عن عشرين الف كيس ايضاً . فهذه المبالغ الجسيمة والكنوز التي افتتحتها هؤلاء القوم هي التي اشغلتهم عن قتل المسيحيين ، لانهم يومها لم يقتلوا من النصارى سوى سبعة انفار وجرحوا نحو ثلاثماية نفر الذين حتى الآن كل يوم يموت منهم اناس . ولتاريخه ادناه قد توفي من المجروحين سبعين نفرا . فعدد الدور التي انتهبت من النصارى نحو خمساية دار . وان سألت كيف نجت باقي المسيحيين ، فاعلم ان بعض صوايح الساكنين بهم اسلام مع نصارى — فالاسلام خيفة من نهب بيوتهم بسبب التعدي ، كانت تتجند وتمنع طروق القوم الى حاراتهم ، وهكذا نجت المسيحيين المجاورين للاسلام . غير ان لم يخلو هؤلاء ايضاً من خسارات وافرة لاجل حراستهم اياهم . وقد تزايدت اضرار المسيحيين جداً لانه عدا اموالهم المنهوبة ، لم يبق لهم امنية ليبقوا في مساكنهم . فطفقوا يذهبون ليختفوا في الخانات داخل اسوار المدينة . واذ كان لا سبيل لهم ليذهبوا ما بين الاسلام ، فكانوا يدفعون دراهم وافرة الى السكمان ليوصلوهم . ومنهم من كان يعطي كل ليلة الف غرشاً ام اكثر ام اقل ليأتي السكمان يحرسون داره خيفة من القتل والحريق واضرار أخر .

فالسيد مظلوم مساء خرج من المغارة وتزيا بشكل امرأة وصوحب بسكمان الى خان العلبيه مختبئاً عند قنسل نابولي ، وهكذا جميع الاساقفة مع الكهنة والشعب المسيحي كله اختبوا في المدينة ومنهم عند اصحاب لهم من الاسلام . ولم يبق أحد من الرؤساء باقياً في قلايته سوى السيد بولس (أروتين) مطران الموارنة وذلك لان الله تعالى وسيدة الوردية التي كان يومها ضابطا ايقونتها المقدسة قد حفظه من سوء المصيبة ولم يدخل أحد من القوم لداره التي لو دخلوها لاعدموا الكنيسة الملاصقتها ايضاً بالحريق . ولكن أيت (اية) اضامة شديدة صادفت المساكين خراف المسيح في امكنة خبائهم ، اولئك الذين بالكاد يوجد من هو مستتر منهم بثوب بال ، يرقدون على الحضيض ، فرايصهم ترتعد من شدة البرد ، خاصة الفقراء والمجرحين منهم والمرضى ،

الحال الذي صار سبباً لموت كثير منهم ، وقليل عاد يوجد من يقدر يسعف الآخر بشيء . هذا ما تم لنهاية يوم الخميس المحزن

فالباشا المشار اليه اذ عاين ما صار ، فلم يقدر ان يفعل شيئاً سوى انه فوض الى عبد الله بابنسي والبسه قايمقام حلب لكيما تخمد اهالي البلد . فاتى تلك الليلة المرقوم واصحب معه كام عسكري وبات في الجديدة محافظاً الصايح لكن بعد خرابه . بل ان تلك الليلة قد كانت السرّاقون اي المحافظين انفسهم يدورون في بيوت النصارى الفارغة من اهلها ويكملوا نهب ما بقي . اي ان كان بقي شيء قد استهجنه القوم يومها فسلبوه ليلاً ، حتى ان البوم قد نعق في كل محلات المسيحيين .

فيوم الجمعة دار عبد الله بابنسي في البلد ومعه كام عسكري ، ونبه بالامان ولا أحد يتعارض لاحد والاسلام ترفع سلاحاتها ، وان النظام بطال والفرده بطاله وعفى الله عما مضى . ولكن اي امان الآن . اهل البلدصارت تخفي الاسلحة تحت مشالحها وتدور ، والنصارى لا يجسر أحد ان يخرج من مكانه . ولاجل الضرورة القصوى ومشترا القوت ، فكانت تخرج البعض بغاية السرعة والخوف ، لان الرعاع متى شاهدوا مسيحياً كانوا يقذفونه بالشتم ويضربونه . ولم يكن سبيلا للمسيحيين ان تظهر في الازقة والشوارع .

فيوم السبت زار عبد الله بابنسي القناسل مسلماً عليهم . ولبس رمضان اغا تفنكجي باشي. وذلك لان واحد يقال له الرهوان في اليوم الماضي ابتدى يمسك بعض اناس من الاسلام ويرسل يحبسهم في الشيخ [الشيخ يبرق] ، قصده بذلك ان يرعبهم لكيما يخمدوا عن خبثهم ، فتحركت جماهيرهم ايضاً وطلبوا اطلاق الممسوكين والاّ فانهم يخربون البلد دكا دكا . فصعد عبد الله الى الباشا وقال له اما تطلق المحبوسين اما ان البلد تخرب . فحينئذ اطلق جميع الممسوكين حتى همد الحال نوعاً ، والرهوان هرب لان اهل البلد طلبوا قتله . وحينئذهم استخاروا [اختاروا] رمضان اغا يكون تفنكجي باشي حيث لا يرغبون العثمانلي يحكم عليهم . فسعادة الباشا حرر الى الدولة العلية بما جرى وكذلك القناسل حررت الى الايلجية [السفراء] بجميع ما توقع ،

وبقي سعادته منتظراً جوابات الدولة كيف يتصرف مع البلدة . ولاجل صيانة البلد من موقعة اخرى وتأمين الناس اجتمعت القناسل مع سعادته لترتيب نوعية طريقة بها يهمدون العصاة ، فرأوا ان الانسب يؤخذوا بالتمليق ويجاروهم حسب مرامهم ، فاحضروا عبد الله بابنسي وبحضور الباشا طلبوا منه صيانة البلد واوعدوه مواعيد شتى ، وانه اذا حفظ البلد في هـذا الوقت سيوافيه انعامات غزيرة من الدولة ، حتى صيروه يكفل اهالي البلد من كل حركة بشرط ان الباشا لا يقاص احداً منهم ، ولا أحد يداعيه عن كل ما مضى و يعفو عن الجميع . فالباشا اوعده بذلك كله والقناسل كفلت سعادته بهذا . وتسلم عبد الله زمام البلدة وصار يحكم في السرايا ، ونبه على رفع السلاح وامر الاعيان ان ترجع الى بيوتها وطلب من الباشا ان يرجع لسراية حكمه . فسعادته مجاراة للحال صار ينزل احياناً وزار ايضاً القناسل جميعها مسلماً عليهم ، ونبه على البلد تفتح جميعها ونادى بالامان . لكن لم تزل المسيحيين بغاية الخوف والرعب ولا يقدر أحد يتظاهر كالواجب ، بل كانوا يحتجبون ولا يخرجون من اماكن خبايهم الا لامر ضروري و بغاية الخوف والسرعة

هنا فلنأت بذكر يستحق كل مديح : وذلك للرحمة التي ظهرت من الخواجا دلسبس قنسل دولة فرنسا الجزيل فضله ، وذلك انه من يوم الموقعة فتح بيته لاستقبال جميع المسيحيين اياً كان غير مميز أحداً ، وكان يقبل الجميع الملتجين بكل اكرام وقبول حتى امتلأ بيته والخان السكائن بقربه ؟ من خلايق كثيرة . ونبه ايضاً على جميع اديرة الافرنج وخاناتهم ان لا يردوا احداً من المسيحيين . وصار يقدم لجميع الموجودين في بيته وخانه وفي خان البنادقة المجاورة كل يوم مأكولاتهم ومشروباتهم ، حتى انه ما كان يدع احداً يصرف من بارة الفرد ، وارسل فاستكتب [كتب اسماء] جميع المجرحين والمرضى ، وعين لهم جراحية واطباء ليداووهم ، وكان يقبل في بيته كل من وافاه من فقير او غني . وكانت تقبل اليه خلق كثير منهم مرضى وفقراء فكان لا يمسك يده عن اسعافهم ؛ منهم بدراهم ومنهم بمداواة ، حتى اخيراً حين عاين كثرة

المحتاجين والمنهو بين والمرضى والمضروبين، فاستكرى دار واسعة جداً وعينها بيمارستاناً عاما لكل المرضى ، وعين خدامين لمداراتهم وطبيبا لمداواتهم ، جميع ذلك بعلايف منه . وعين فيه طباخين لمأكولات المرضى ، وارسل فنبه على جميع المسيحيين ان من كان مريضا ومحتاجا فليأت اليه . ثم ارسل فاستعلم من رؤساء جميع طوايف النصارى اسماء الفقراء والمنهو بين والمحتاجين ، وعين لكل نفر منهم كل يوم خمسين درهم لحماً ومائة درهم خبزاً ، وعين لذلك قصابا وخبازاً لكيما كل يوم تقبل الانفار المكتتبة اسماؤهم بموجب اوراق مختومة من الرؤساء بيدهم ليأخذوا الخبز واللحم المعين لهم . ثم انه فصّل وخيط لحف وفرش جديدة وصار يوزعهم ايضا على الفقراء المنهو بين والمحتاجين بحسب شهادة رؤسائهم . ثم ارسل جماعة استكتب اسماء الفقراء والعريانين وفرق عليهم قمصان وكالات خام جديد . ومع هذا كله فكان يبحث على الفقراء ليلا يكون منهم احد حاصلا باضامة لكيما يعينه بالاحسان . الامر الذي يستاهل يقدون باحرف ذهبية وينقش على الصخور كيلا يمحى ذكر احسانه مدى الزمان . فلا شك الا ان الله الذي بلى شعبه ، اغاثهم بوجود هذا الرجل الفاضل المستحق كل كرامة ومديح

السيد مظلوم بقي اثنى عشر يوما مختبئا . وفي ٢٨ ت ١ يوم الاثنين سافر متنكراً الى اسكندرونه ومن هناك توجه بحراً الى بيروت ، وكذلك ربما معه ؟ سافر الخوري بولس حاتم من طائفته وشماساه الانجيليان ، واما قواشانه بقيا في حلب من بعد ان انتهبا ايضا وبقيا جايلان في حلب يرقدان في القهاوي والجوامع . (لها تابع)

السوريون في مصر

بقلم الخوري بولس قرألي

الفصل السادس

الدول العربية (تابع)

٧ - الدولة الايوبية ١١٧١ — ١٢٥٠

وكاد الصليبيون يقضون على الدولة الاسلامية لولا ظهور السلطان صلاح الدين الايوبي الشهير الذي كان في خدمة الاتابك نور الدين في سوريا . فقد ارسل نور الدين المذكور اسد الدين شيركويه لدفع الصليبيين عن مصر . واصطحب هذا ابن اخيه يوسف صلاح الدين وكان في مقتبل العمر . فوصل شركويه الى مصر وقد دخل الصليبيون القاهرة فارتحل بجيشه السوري الى مصر العليا . فتبعه الافرنج وتجمهروا كثاراً حتى ارتاعت الجيوش السورية لمنظرهم ، لكنها حاربتهم يوماً كاملا حتى هزمتهم الى القاهرة ونازلتهم بعدئذ في مواقع شتى كانت الحرب فيها سجالاً . واستولى شيركويه على الاسكندرية واقام عليها ابن اخيه يوسف صلاح الدين . ثم جاء الصليبيون من فلسطين لنجدة اخوانهم في مصر فاضطر شركويه ان يصالحهم على ان ينسحب الصليبيون والسوريون معاً من مصر ويتركوها لحاكمها شاور مقابل مئة الف دينار يدفعها لهم . فترك الصليبيون القاهرة واخذوا يعودون الى سوريا .

لكن خليفة مصر العاضد ابن يوسف كان قد تعاهد سراً مع الاتابك نور الدين وعرض عليه ثلث خراج مصر وتولية شيركويه عليها اذا نجاه من شاور الذي استبد به وبشؤون مصر . فاسرع شيركويه بجيشه السوري والتقى في طريقه بالصليبيين في بلبيس فاخرجهم منها ومن كل ارض مصر . ثم استأنف السير الى القاهرة حيث

قابله الخليفة بالهدايا له ولسائر جنده . فاستاء شاور من هذه المودة لكنه رأى الجيوش السورية قريبة منه فتظاهر بالمحبة لشركويه على امل ان يغدر به سراً . فعلم يوسف صلاح الدين وبعض كبار جيش السوريين بذلك فاضمروا له ما اضمر على اميرهم وقبضوا عليه وارسلوا رأسه الى الخليفة . فسرّ الخليفة بذلك وولى شيركويه على مصر. ولما توفي اقام مكانه ابن اخيه يوسف صلاح الدين ولقبه بالملك الناصر . فأبت الجيوش السورية في بدء الامر الائتمار بامره لصغر سنه لكنه اخذهم باللين حتى استجلبهم واجمعهم على ولائه فعظم شأنه وكثرت نصراؤه

ولما توفي العاضد سنة ١١٧١ وضع صلاح الدين يده على السراي وحجر على باقي الامراء الفاطميين فانتهت بذلك دولتهم . واعلم خليفة بغداد بما فعل فسرّ هذا لانفراده بالخلافة على سائر الشرق وخلع على نور الدين وبعث اليه بسيفين اشارة الى توليته لمصر وسوريا . وخلع ايضاً على صلاح الدين الذي تظاهر بتأييد سلطة العباسيين على ان يستقل بعدئذ بمصر وسوريا .

ولماتوفي نور الدين جاء صلاح الدين الى دمشق وامتلكها واستولى على حلب واعلن حكمه على مصر وسوريا . ثم استقدم من مصر جيشاً آخر ارجع به الصليبيين عن البلاد الغربية من سوريا . وبعد ان ولى اخاه طوران شاه على دمشق عاد الى القاهرة وشاد فيها قصره الشهير في القلعة على سفح المقطم وبنى جامع اولاد عنان .

ثم بلغه ان امراء الموصل تآمروا عليه مع الصليبيين فعاد الى سوريا وحاصر حلب فسلمت، ثم استولى على الرها ورقة ونصيبين وسروج وخابور وسنجار وحران. وعسكر امام الموصل فخضعت . وعاد فنازل الصليبيين في موقعة حطين الشهيرة على سطح جبل طبريه واستظهر عليهم وأسر منهم خلقاً كثيراً ، بينهم ملكهم جفروا ، وقتل اخاه ارباط . ثم تسلم قلعة طبرية ورحل الى عكا وانقذ من كان فيها من أسرى المسلمين وفرق جيشه فرقاً في انحاء سوريا واستولى على نابلس وحيفا وقيسارية وصفوريه والناصرة وفتح قلعة تبنين ، وبعد ذلك نزل على صيدا وتسلمها وسار الى

بيروت فركب عليها المنجنيق واخذها وارسل سرّية من رجاله الى جبيل من اعمال لبنان فاستولى عليها . و بعد ذلك حوّل فتوحاته الى الجنوب فاستولى على عسقلان وغزه حتى اتى بيت المقدس وضيق عليها بالزحف والقتال وما زال حتى نقب سورها فسلمها الافرنج وافتدوا انفسهم . ومن لم يفتد نفسه أخذ اسيراً . ثم عاد الى صور وقاتلها براً واستقدم اسطولاً ليقاتلها بحراً . اما الصوريون فهاجموا باسطولهم عمارة المسلمين واسروا منها خمس قطع وقتلوا كثيراً منهم . فعظم ذلك على صلاح الدين وكان الشتاء قد داهمه فوقع هدنة وعاد الى عكا . وفي الصيف قام لاتمام فتح سوريا



ضريح صلاح الدين الايوبي
في الجامع الاموي بدمشق

لكن الافرنج كانوا قد تكاثروا واستفحل امرهم ففتحوا عكا وهموا بالاستيلاء على الرمله فأسرع صلاح الدين وضربها لئلا تقع في أيديهم لكنه لما رأى الضجر قد خامر قلوب المسلمين اضطر الى عقد الصلح مع كبير الصليبيين . فنادى المنادون ان البلاد الاسلامية والنصرانية واحدة فمن أحب من كل طائفة ان يتردد الى بلاد الطائفة الاخرى فلا حرج عليه .

ولما رجع ملك الافرنج الى بلاده رأى السلطان ان يعود لتفقد القلاع السورية ففعل وسار الى دمشق وكان يحبها كثيراً ويؤثر الاقامة فيها على سائر المدن . وهناك عاجلته المنية بعد ان حكم ٢٤ سنة، منها ١٩ سنة في سوريا . فدفن فيها ولا يزال قبره قائماً في جامعها الاموي .

وترك صلاح الدين سبعة عشر ولداً تقاسموا سلطنته بموافقة الآراء لكن ثلاثة منهم فازوا باكبر الحصص . فالملك الافضل اخذ دمشق والشطوط البحرية واورشليم والبصره وبانياس وسوريا الغربية . والملك الظاهر وقعت له حلب وجميع سورية الشرقية . وتولى الملك العزيز مصر . وهكذا تكونت من هؤلاء الامراء ثلاث دول وهي الايوبية الحلبية والدمشقية والمصرية . وكان الملك العادل حاكماً على الكرك والشوبك فحاول الاستيلاء على سلطنة مصر وسوريا وخلع الملك الافضل عن دمشق وما زال حتى اصبح جميع من بقي من الحكام الايوبيين في الامارات الصغيرة خاضعين لسلطانه ، وفي جملتهم ابن اخيه الظاهر ملك حلب . وعادت مملكة صلاح الدين بعد ان انقسمت حصصاً الى مملكة واحدة تحت ادارة سلطان واحد (سنة ١٢٠٠ م)

ولما دخل الصليبيون في عهد الملك الكامل سواحل مصر وتحصنوا في دمياط وارسلوا الاسرى الى عكا ، استنجد الملك الكامل اخوته في الشام والشرق فجاؤوا لنصرته وحاربوا الصليبيين براً وبحراً وغلبوهم واسروا منهم الفين ونيف واجبروهم على تسليم دمياط والانسحاب من مصر . فطمع الملك الكامل في حصة اخويه وعاهد

الصليبيين على اغتيالهما . ولما توفي الملك الاشرف خلا له الجو واصبح الوارث الوحيد لمملكتي مصر وسوريا . وجاء الى دمشق حيث توفي . فبايع المصريون ابن الملك العادل سنة ١٢٣٨ م واقاموا الاميريونس اميراً على سوريا وجعلوها تابعة لمملكة مصر

ولما نزلت قبيلة الخوارزميين حدود سوريا الشرقية عاهدهم الملك الصالح سلطان مصر (١٢٤٠ — ١٢٤٩) على محاربة الافرنج وامراء سوريا الذين على دعوتهم وانجدهم بقوات . فحاربوهم واستولوا على غزه وبيت المقدس باسم الملك الصالح وارسلوا الى مصر عدداً كبيراً من الاسرى ومن رؤوس القتلى

ثم جاء الملك لويس التاسع على رأس التجريدة الصليبية السابعة فنزل قبرس وجند عدداً من مسيحييها الموارنة فجاء اليه اميرهم سمعان بخمسة وعشرين الفاً . فاستولى الصليبيون على دمياط وحكموها سبع سنوات . وتقدموا قاصدين المنصورة . وفي اثناء ذلك وصل الملك المعظم من سوريا بجيش قوي فاشتد عزم المسلمين وهاجموا الصليبيين براً وبحراً فدحروهم ولحقوهم حتى فارسكور ويقال انهم قتلوا منهم ثلاثين الفاً . واسروا الملك لويس وكثيراً من ضباطه وجنوده .

ولما توفي الملك الصالح سنة ١٢٤٩ بايع المصريون الملك المعظم . لكن المماليك قتلوه وبموته انقضت الدولة الايوبية وقامت دولة المماليك الاولى .



الفصل السابع

المماليك

١٢٥٠ — ١٨٠٥

١ — دولة المماليك الاولى ١٢٥٠ — ١٣٨٢ م

منشأهم — اصل المماليك من شمال اسيا من مقاطعة قفجاق التي كانت من المستعمرات الاسلامية . تشتت اهلها بعد غزوة المغول فأخذ تجار الرقيق يبيعونهم في اسواق الشرق كالسلع . وقد اكثر امراء سوريا وملوكها منهم ، وكانوا يدعونهم « المماليك ». وابتاع منهم الملك الصالح الفاً جعلهم في بطانته واقام منهم امراء لدولته. وكان لهم في حرب الصليبيين السابعة شأن يذكر ، قتلوا بعيدها الملك المعظم وبايعوا والدته شجرة الدر فاقامت كبيرهم «ايبك عز الدين» اتابكا لها. وما زال امرهم يستفحل حتى صار زمام مصر بيدهم . ولما عاهدوا الصليبيين على سلطان دمشق واطلقوا عدداً كبيرا من الاسرى المسيحيين انفذ اليهم السلطان المذكور عشرين الفا قاتلوهم وهزموهم ولحقوا بهم الى القاهرة ودخلوها. وانهزم ايبك كبيرهم بشرذمة التقت بشمس الدين قائد الجيش السوري فقتلته، فاضطر السوريون ان يصالحوا المصريين واتفقوا جميعهم على محاربة الصليبيين . ثم وقعت فتنة بين المماليك قتل فيها ايبك المذكور مع شجرة الدر ونصب عوضه ابنه نور الدين .

وخلاصة القول ان مماليك مصر شغلوا بمنازعاتهم الداخلية عن سوريا فافلتت من يدهم ولم تستقم الا لبعضهم كالملك الظاهر بيبرس وابنه السلطان قلاوون .

الملك الظاهر (١٢٦٠ — ١٢٧٧) لما تولى الملك الظاهر بيبرس البندقداري سلطنة مصر عصاه السوريون و بايعوا الامير سنقر حاكم دمشق. وعضدهم في ذلك التتر تحت قيادة هولاكو . فسار بيبرس الى دمشق وتغلب على التتر حلفائها، فقنطت المدينة وفتحت له ابوابها . فانتقم منها.

وهرب سنقر وتحصن في قلعة بعلبك فحاصرها بيبرس وفتحها وقبض عليه ، وتمت له الخطبة في دمشق وحماة وحمص وحلب وغيرها من المدن السورية . ومر في طريقه من دمشق الى حمص بقرية نصرانية تدعى قارا فنهبها وقتل منها جماعة وسبى منها نحو الف نفس رباهم المصريون بين المماليك الاتراك، فكان منهم الجنود والامراء وما المماليك الا مجموع من اسرى وارقاء بينهم عدد كبير من المسيحيين الاروام والافرنج والسوريين

وعاد بيبرس الى يافا في ٧ مارس سنة ١٢٦٦ م ففتحها وقصد قلعة الشقيف المنيعة بين دمشق وصيدا حيث كان الصليبيون متمكنين فحاصرها، ولما لم يسعه أخذها عنوة صعد الى اعلاها وكشف ماءها وذبح في قناتها عدداً كبيراً من الغنم والابقار حتى انتن الماء، فسلمت . ثم قصد بيروت وجبيل وأمّن صاحبها ، واغار على طرابلس فقطع اشجارها وغوّر انهارها وخرب اربع وعشرين قرية منها . وفيما هو في ذلك انقض عليه المسيحيون من لبنان ففر هارباً من وجههم الى حصن الاكراد ومنه زحف الى انطاكية فملكها بالسيف وقتل اربعين الفاً من اهلها واحرق كنائسها وغنم خيراتها الغزيرة .

وفي سنة ١٢٧٦ م بلغه ان امراء عبيه في جنوب لبنان كاتبوا صاحب طرابلوس الفرنجي فاعتقلهم في حبس مصر ونهب اموالهم واختطف اولادهم وحريمهم .

(راجع زيدان ج ٢ ص ١٥ والدويهي ص ١١٢ و ١١٣ وتاريخ الامير حيدر الشهابي ص ٤٤٢-٤٤٦ وتاريخ بيروت لصالح بن يحيي ص ٤٠ و ٩٥-١٠٩)

السلطان قلاوون (١٢٧٩ — ١٢٩٠) — حالما جلس السلطان المنصور قلاوون على كرسي مصر بعث الامير طرطباي الى دمشق لاخماد ثورة شبت فيها ، فقبض على ملكها الكامل وقاده الى القاهرة وولى الامير حسام الدين بن لاجين على دمشق وسائر بلاد الشام . ثم شُغل قلاوون في ثورة المماليك بمصر فاعمل فيهم السيف حتى غصت الاسواق بجثثهم رجالاً ونساء واطفالاً ، ومنع الذين ابقى عليهم من لبس الموشى

والزينة واستعمال الضفائر الطويلة . واستعاض عن المقتولين بالمماليك الشراكسة فجمع منهم اثني عشر الفاً .

ولما فقد ابنه علياً ولي عهده فكر في ان يجرد حملة على طرابلس تسلية له عن هواجسه . وكان صاحبها بيومند قد مات فارسل الى لاجين ليوافيه بالجيوش الشامية فوافاه بها،وحاصرها ثلاثة وثلاثين يوماً حتى امتلكها . فقتل من فيها وسبى ذراريهم ونساءهم وغنم غنيمة عظيمةولم ينج من الافرنج غير الذين هربوا الى الميناء او احتموا في اعالي لبنان الشمالي واختلطوا باهله.ولا تزال سيماؤهم على بشرة سكان هذه المقاطعة. وامر قلاوون بحرق القلعة ودكها الى الارض . ثم اعاد بنيانها على نصف فرسخ منها في وادي الكنائس . وكان الافرنج قد حكموها مدة ثماني وثمانين سنة .

ثم قصد عكا لينتقم من فرنجها الذين غدروا بقافلة من المسلمين فتوفي في الطريق وخلفه ولده الملك الاشرف الذي حضر الى عكا وأخذها بالسيف وقتل من بها . وكانت حصينة للغاية . فارتعب الفرنج واخلوا له صور وصيدا وحيفا . ثم توجه الى دمشق وفتحها وكلف سنجر الشجاعي هدم قلعة صيدا البحرية ،وكان قد تعذر عليه فتحها، فقام سنجر بهذه المهمة وقصد بيروت واخذها غدراً والقى رجالها في الخندق

وجهز الملك الاشرف قائده علم الدين الداوودي وارسله الى جبيل على سواحل لبنان فاستولى على اسوارها وقلعتها وانفذ اهلها الى دمشق ومنها الى مصر . لكن السلطان اطلقهم للامان الذي اعطاه والده اياهم وخيرهم بين العود الى بيروت اوالتوجه الى قبرس.

وكان موارنة كسروان قد انجدوا الفرنج وقتلوا من عسكر السلطان خلقاً كبيراً فارسل اليهم بيدرا بعسكر جرار ، فارجعوه على اعقابه بعد ان نكلوا به وسلبوه . فاعاد ولاة الاسلام الكرة على كسروان بقيادة الاقوش سنة ١٣٠٥ وما زالوا حتى امتلكوا نواصي كسروان فاجتاحوه وخربوه واحلوا المسلمين والمتاولة في جروده وأوساطه والتركمان في سواحله ليمنعوا اهله من الاتصال مع مراكب الفرنج .

(راجع زيدان ٢٣-٢٦ والدويهي ١١٩ - ١٢٠ وتاريخ بيروت لصالح بن يحيي ٤٣ - ٤٧ والمقاطعة الكسروانية للحتوني ٣٩ - ٥٠ وتاريخ حيدر ٤٦٦ - ٤٦٩)

نبذة

في تاريخ تشييد كنيسة القديس انطونيوس المارونية بالاسكندرونه

بقلم الخوري الاسقفي نقولا غصن

نقلاً باختصار عن سجل الكنيسة

اقول انا الخوري الاسقفي نقولا بن موسى بن سعد غصن صفير من عجلتون لبنان ان غبطة السيد البطريرك مار الياس بطرس الحويك اجابة لطلب الآباء الكرمليين بالاسكندرونه قد اوعز الي سنة ١٩٠٦ بالحضور الى هذا الثغر لتدريس اللغة العربية في مدرستهم ومعاونة خوري رعيتهم، فامتثلت امره. واول ما اهتممت به تعليم الاحداث المبادي الدينية لان جهل الآباء المذكورين لهذه اللغة كان سبباً لحرمانهم هذا التعليم الضروري. فقضيت عندهم نحواً من ١٤ سنة كنت في خلالها الاحظ منهم اهمالا كثيراً فيما يتعلق بشؤون ابناء طائفتنا والطوائف السورية الاخرى الموكلة لعنايتهم. ولا عجب فلا يحن على العود الا قشره. فقد مرّ يوماً حضرة الاب الغيور يوسف شبيعه المرسل الرسولي عائداً من مرسين، حيث القى هناك رياضة روحية لابناء الطائفة، فطلب منه مواطنونا ان يسمعهم كلام الله فأبى حضرة البادري خوري طائفة اللاتين ان يأذن له بالقاء المواعظ في كنيسته . فتذكرت ما كان اخبرني به سيادة المطران شكرالله خوري لما عرج منذ بضع سنوات على هذه المدينة عائداً من قبرص و برفقته المثلث الرحمات المطران بطرس شبلي ، وكانا كلاهما كاهنين، انهما طلبا بعد الحاح اولاد الوطن من البادري ايجيديوس خوري طائفة اللاتين ان يلقيا الارشادات في كنيستهم فاجابهم « اذا شئتم ان تعملوا رياضات فاعملوها في كنائسكم »

وحدث مرة ان توفي في الاستانة أحد وجهاء طائفتنا بالاسكندرونه، وهو المرحوم وليم قرألي (ابن عم صاحب المجلة) عن تركة وافرة واولاد قاصرين فاستفزيت حمية الاباء الكرمليين

للمحافظة على حقوق ابنائه فلم يكترثوا للامر. فدفعتني الحمية وذهبت فختمت البيت بعد ان حررت متروكاته. وكان قاضي الشرع استعد لوضع يده على هذه المتروكات طمعاً بالرسوم التي كان يتقاضاها في مثل هذه الظروف ولما رأى الابواب موصدة ومختومة كلفني نزعها ، فأبيت . وبعد معالجات عنيفة وتهديده بفض الاختام بالقوة الجبرية رفعت تلغرافيا احتجاجات الى الاستانة لشيخ الاسلام ومبعوث حلب عن المسيحيين ولبطريركية الروم الكاثوليك (لان المرحوم توفي على يدهم) وعرضت الكيفية لغبطة بطريركنا الماروني وسيادة مطران ابرشية حلب، فجاء للقاضي المذكور تكدير وتوقيف. فهذه الامور وما اشبهها زادتني رغبة في السعي لتشييد كنيسة خاصة بطائفتنا تخلصاً من الاستبداد والاهمال . فخابرت سيادة مطران الابرشية المرحوم المطران يوسف دياب فحبذ الفكر ولكنه لم يقدم عليه لعدم المال .

ولما خلفه سيادة المطران ميخائيل اخرس سنة ١٩١٣ كاشفته بالامر فاستصوبه وكلفني انتقاء محل صالح لهذه الغاية . ولما حدثت الحرب الكونية الاخيرة واخذ الملاكون يعرضون املاكهم للبيع انتهزت الفرصة واشتريت، بعد ان مدني سيادته بالمال بيتين، في محلة « يكي شهر » مبنيين على قطعة ارض تبلغ مساحتها ٩٦٠ متراً واقعة على ثلاثة شوارع ، طول واجهتها ٤٨ متراً على شارع كنيسة الموارنة وعشرين متراً على كل من شارع المحطة القديمة وشارع آخر لم يطلق عليه اسم بعد . وسجلنا هذا المبيع بموجب طابو شهاني مؤرخ في سنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م)

وفي اواخر ١٩١٨ احتلت الجيوش الافرنسية ثغر الاسكندرونه وحصل نفور بين الحاكم الاداري الافرنسي وبين الاباء الكرمليين لتقديمهم قنصل ايطاليا عليه في الكنيسة، فطلب الي الحاكم ان اعد له مكاناً لاقامة الذبيحة فيتمكن ومن بمعيته من استماع القداس وقضاء الواجبات الدينية. فتمنعت اولا اكراماً للاباء الكرمليين ولكن لما رأيت منه تصلباً وعزماً على عدم حضور القداس في الكنيسة اللاتينية هو وجيشه فتحت كنيسة الروم الكاثوليك التي كانت مقفلة في مدة الحرب وشرعت

ان اقيم فيها الذبيحة ايام الاحاد والاعياد. فاستاء مني رئيس الاباء الكرمليين ورفض قبولي في مدرسته بعد ان خدمتهم سنين عديدة وحافظت على كنيستهم واملا كهم اياما الحرب الضروس وخاطرت بحياتي مراراً في سبيل ذلك . وانكر عليّ مبلغاً قدره ٢٤٠ ليره افرنسية ذهبا حسنة قداديس قدمتها على دفتره ، ورواتب اربع سنوات متوالية. ولم يدفعها الاّ بعد شكاوي عديدة رفعتها الى مجمع الطقوس الشرقية في رومية. وعلى اثر هذه الحوادث سعى الحاكم الاداري بالاسكندرونه ليحمل المفوضية على مساعدتنا في تشييد كنيسة فلم يفلح .

وفي سنة ١٩١٩ جاء سيادة المطران ميخائيل اخرس الى الاسكندرونة وفتح معبداً موقتاً في البيت المذكور اعلاه واحتفل فيه بالقداس الاول بحضور الحاكم الفرنساوي والقواد الفرنسيين وفي نهايته منح سر التثبيت المقدس للاحداث .

وفي غرة حزيران سنة ١٩٢١ شمرت عن ساعد الجد وشرعت ببناء الكنيسة بعد الاستئذان من سيادته ووعده لي بالمساعدة . ولم يكن جاهزاً لدي سوى مبلغ ١١٢٥٠ غرشاً دارجاً دخلت للوقف من الحسنة التي اعتيد جمعها في قداديس ايام الآحاد والاعياد في المعبد المذكور. ولما كان العمل عمل الله فقد حرك سبحانه قلوب المحسنين ومهد العقبات واخذ بيميني ولم تمض ثمانية اشهر الا والكنيسة قد نجز بناؤها. فجاءت مساحتها طولاً ١٥ مترا في ٩ عرضاً بعلو ثمانية امتار مسقوفة بالحديد والشمنتو. وقد انهالت عليّ التبرعات في اثناء بنائها من اولاد طائفتنا والطوائف المسيحية فبلغت ١٢٩٣ ليرة سورية ونصف ليرة. اي ٤٤٣ من اولاد طائفتنا دفع منها السادات عبدالله ١٢٥ و يوسف محفوظ ٦٢ والياس نوح ٧٤ والياس حنا يعقوب ٣٠ و ٥٦٠ ليرة من وجهاء الطوائف المختلفة منها ٥٠ من القومندان مانجو و ٦٢ ونصف من السيد تودور بلفانتي و ٢٥ من السيدين بولس عاوراجي والياس عاقل و ٦٣٧ ونصف من سيادة المطران ميخائيل اخرس وتبرع السيد جوزف كاتوني بقيمة منجور الكنيسة والسيد فؤاد راجي مشنوق من ابناء طائفتنا بتماثيل مراحل درب الصليب البالغة قيمتها ٣٧ ليرة سورية والسيدة

ليا نادر ومدام شكري ريتشايشكون اصفر مزركش قيمته ١٦ ليرة ونصف والسيد جوزف كاتوني بغطاء لبيت القربان ودائر المذبح مزركشين بالقصب الفضي النافر وقيمتهما ٣٧ ليرة

وتابعت العمل فبنيت داراً لسكنى الكاهن مشتملة على ثلاث غرف سفليات وغرفتين علويتين . ومددت حوش الكنيسة بالشمنتو ، وقد تبرع بكلفته الوجيه اميل بطرس بطن ونصف، وادوار محفوظ بنصف طن. ثم سعيت بتأثيث هذه الغرف وفرشها وجلبت للكنيسة امتعة واواني حتى جاءت كاملة وعديدة

ولم اكن انتظر ورود الاحسانات لاتمام ما بدأت به بل كنت اتابع عملي من مالي الخاص تعزيزاً لشأن الطائفة والكنيسة منتظراً الاجر من الله .

وفي سنة ١٩٢٣ دفعت الحمية الملية المأسوف عليه يوسف محفوظ من اعيان طائفتنا فشيد من ماله الخاص قبة للجرس بلغت قيمتها ١٥٠ ليرة سورية. وقد علقت فيها جرساً بلغ وزنه ١١٣ اقة ، احتفلنا بتعميده في يوم عيد شفيع الطائفة القديس مارون ي في ٩ شباط سنة ١٩٢٤.

وفي اذار سنة ١٩٢٤ بناء على امر سيادة راعينا المفضال عمدت الى اتمام البيت الملاصق للكنيسة المشترى في مدة الحرب . فسقفته بالقرميد وكلسته وبلطته وجهزته بالمنجور وباقي لوازمه ، فتسنى لنا تأجيره . وهو مؤلف من دارين يترتب كل منهما من ثلاث غرف وفسحة دار وملحقاتها .

اللبنانيون وفرنسا

انبأتنا الاسلاك البرقية عن الضجة العظيمة التي قامت في الاندية الفرنسوية على اثر التهم التي وجهها الكاتب الفرنسوي لامازيار الى غبطة البطريرك الماروني واللبنانيين . فرأينا ان ننشر هذه المقالة لحضرة الوطني الغيور ميشال افندي الحايك صاحب جريدة العلم (لبنان) كأحسن رد على هذا المتشدّق ومن هم على شاكلته:

***

. اهذا جزاء الامة التي اخلصت الولاء للدولة المنتدبة وضحّت الالوف من ابنائها في سبيل الاحتفاظ بصداقة فرنسا الحرة الشريفة ؟ اهكذا يكافأ الولاء والاخلاص ؟

ابمثل هذه الاهانات السافلة يبادلون احفاد المردة الذين سهلوا الجيوش فرنسا في كل دور من الادوار دخول هذه البلاد ملتفين حول العلم المثلث الالوان يفدونه بالمهج والارواح ؟

— من عهد لويس التاسع الى نابليون الاول الى نابليون الثالث ، الى الجمهوريات الثلاث سلسلة من التضحيات والاعمال الدالة على تعلقنا الشديد واخلاصنا الاكيد للدولة الافرنسية الكريمة..

. ما لاح لهم علم في البر حتى التففنا حوله ، وما مخر لهم اسطول في البحر حتى خفقت له قلوبنا .

نشركهم في صلواتنا ، ونذكرهم في معابدنا وندعو بنصرهم في جميع مجتمعاتنا .

وكلما جاءنا فريق من كتابهم وصحافييهم حللناهم على الرحب والسعة في افخم منازلنا واهديناهم خمورنا المعتقة ومصنوعاتنا الجميلة . لكنهم متى عادوا الى بلادهم يسلقوننا بالسنتهم الحادة جزاء ضيافتنا اللبنانية الممتازة واخلاصنا الاكيد

* * *

جاء بيار لامازيار الكاتب الافرنسي المعروف الى لبنان في العام الماضي فحل ضيفاً مكرماً على ابناء هذه البلاد محفوفاً بالتجلة والاكرام اين حل وكيف رحل ، ولم يلبث ان عاد الى بلاده فاتحفنا بكتابه الجديد — في طريق سوريا — مملوءاً بالمطاعن والمثالب كقوله :

. « ان ابناء هذه الديار تجار يبيعون بلادهم لمن يزيد الثمن »

« وان البطريرك الماروني ذو وجهين فقد استقبل جوفنل كما استقبل جمال باشا »

. « وان المسيحيين — وفي طليعتهم الموارنة — أصل بلاء فرنسا في الشرق »

الى غير ذلك من الاقوال البذيئة التي شحن بها كتابه الجديد .

رويدك يا هذا !

لولا المسيحيون — وفي طليعتهم الموارنة — لما وطأت اقدام الافرنسيين في هذا الشرق ولا قام لابناء السين قائمة في هذه البلاد .

لولا المسيحيون — وفي طليعتهم الموارنة — لما تولدت القضية الشرقية ولما تمكن ابناء بلادك من التسيطر على سوريا ولبنان ولما تيسر لمن هم مثلك دخول هذه البلاد والحلول فيها معززين مكرمين

رويدك يا لامازيار

نحن لسنا بتجار ادنياء نبيع بلادنا لمن يزيد الثمن ، ولو كنا كذلك لفضلنا الذهب الانكليزي الوهاج وآثرنا الملايين الاميركية التي قذفتها بين ايدينا لجنة ولسون على هذه الفرنكات الورقية التي حوّلت ماليتنا الى لا شيء

نحن نعيش بالعواطف اكثر مما نهتم للمادة والمال ولنا من شرفنا وباذخ مجدنا السالف وكرم محتدنا ما يكذب افتراءك علينا

ليس البطريرك الماروني بوجهين كما ذكرت . فهو الرجل الكبير والزعيم المفدى الذي وقف وقفاته المشهورة في وجه جميع الدول مفضلاً الانتداب الافرنسي على كل انتداب ، وهو ذلك الشيخ الجليل الذي تحمل وقر الشيخوخة ، وخاطر بحياته يوم سافر الى باريس لتوطيد العلائق اللبنانية الافرنسية

وهو اللبناني الافرنسي بكلما في هاتين الكلمتين من معاني الالفة والاخلاص والوطنية والبطولة والاتحاد .

وهو العميد الجريء المقدام الذي صرّح امام اللجنة الاميركية بأن اللبنانيين — وخصوصاً الموارنة — لا يرضون عن فرنسا بديلاً

لا بل هو صديق فرنسا الحميم الذي يفضل صداقة فرنسا الحقيقية — لا فرنسا التي يمثلها من هم مثلك يا لامازيار — على كل صداقة في العالم

واليك مثلاً عن اخلاص هذا الشيخ الجليل والعميد الكبير وهو قليل من كثير مما له من الوقفات المشهورة في جانب فرنسا

— كان شقيقنا إسكندر على اثر الاحتلال ترجمانًا خاصًا للجنرال بولفين
الجيوش البريطانية في بلادنا وكان يتمتع بثقة من القائد البريطاني لم يتمتع بها
فتشرفنا دات يوم بنادي العميد اللبناني ولم نكتمه ان الجنرال بولفين مستعد
تضحية كما عزوهان . . . .بين يدي غبطته وفي سبيل الموارنة اذا هم طلبوا الانتد
الانكليزي ، او بالاحرى انتداب جميع دول الحلفاء على السواء بدلاً من انتد
فرنسا المنفرد

فكان جواب السيد البطريرك :

« ان رصاصة فرنسا يااولادي افضل عندي من تفاحة غيرها من الدول ، ف
ان نطلب انتداب فرنسا — وفرنسا وحدها — »

فذهبت كلمة غبطته مثلا بين قومه

وهكذا عاد شقيقنا فأبلغ الجنرال بولفين بطريقة لطيفة بأن لا سبيل للعد
عن طلب الانتداب الافرنسي المجرد —

هي حقيقة مجردة يا لامازيار سردناها لك ولامثالك من الذين يوجهون
الموارنة مثل سهامك الجارحة

فلو كان البطريرك الماروني بوجهين لما تأخر عن ارضاء بريطانيا العظمى بوا
قائد جيوشها ، ولو كان ابناء هذه البلاد من التجار الذين عنيتهم لفضل بطر
قبض المبالغ الطائلة على حب فرنسا المجرد عن كل منفعة وربح

قاتل الله ناكري الجميل من ابناء السين الذين ما فتئوا يرشونا بسهام مطاع
ومثالبهم الحادة وما زلنا نردد مع حب فرنسا الذي رضعناه في الصغر :

« رصاصة فرنسا ولا تفاحة الغير »

اما والله لو لم يكن البطريرك الماروني وطائفته على ثقة تامة من شواعر وعواط
معظم الافرنسيين الذين يتبرأون من مثل هذه الكتابات البذيئة لبرهنوا باسرع
لمح البصر للامازيار ولسواه من المتهوسين كيف ان للموارنة مقامهم الاسمى في ا

بقية الدول التي تتمنى ان يكون لها مثل هذا « البلاء » في الشرق وتوه لو اخلص لها الموارنة بعض اخلاصهم للدولة الافرنسية

— لو اخلص المسيحيون للدولة العثمانية يا لامازيار بعض اخلاصهم لامتكم الشريفة سيطروا والله على السلطنة العثمانية بكاملها —

نحن لا نتهم جميع الافرنسيين بما هم براء منه ولا نأخذهم بجريرة لامازيار وسواه من المتعيشين الطالبين الشهرة الكاذبة ، لكننا كنا ولم نزل نرجو من الحكومة الافرنسية ان تتبرأ من مثل هذه الاقوال التي جاءت في كتاب لامازيار . واذا كانت حكومة الجمهورية لم تطلع على هذا الكتاب فعلى دار الاعتماد ان لا تتغافل عن ارسال كلمة بهذا الشأن تضميداً للجراح الدامية التي سببتها حراب لامازيار في قلوب اللبنانيين المخلصين ابداً للعلم المثلث الالوان

ميشال الحايك

اللآلى

في حياة المطران عبد الله قرالي

بقلم الخوري بولس قرألي

الفصل الاول

في حداثته ودعوته (تابع)

٤ — دعوته

ما بلغ عبد الاحد الرابعة عشرة من سنه حتى ظهرت عليه سيماء الذكاء والدعة والحشمة واصبح محبوباً من اقرانه ومقبولا لدى كل من يعرفه (نأخذ ما يتعلق بحداثة المترجم عن سيرته للبودي المنشورة سنة ١٩٠٧ في المشرق وعن مذكراته الخطية) فادخله والده المدرسة المارونية حيث تعلم القراءة والكتابة ومبادىء العلوم

الاولية ثم ارسله الى مكتب الشيخ سليمان النحوي الشهير (المشرق ٦ : ٩٩) ليدرس عليه آداب اللغة العربية ويتضلع من صرفها ونحوها . فتعرف في هذا المكتب برفاق نادري المثال كجبريل فرحات وجبريل ابن اخوا ويوسف البتن . فصادقهم واخذ ينمو معهم في المعرفة والفضيلة . ثم اظهر له والده رغبة في ان يدرس اللغة الطليانية « ليدفعه في سلك التجارة ومعاطاة اشغال البندر »(هذا التعبير للبودي)فاطاعه مع اتجاه امياله نحو عيشة العبادة والانفراد . ولكن انى له ذلك وليس في حلب ديورة للرهبان الشرقيين ؟ وكان يعلم بوجود رهبان ونساك في لبنان ، ولكن كيف الوصول اليها وهي على مسافة عشرة ايام من وطنه ، فضلاً عن جهله حالها وسكانها ومناخها. وهل يسمح له والداه ان يهجرهما فيقطعا آمالها فيه . فلبث متردداً. فتارة يفتح قلبه للعالم وملاهيه لعلّ قلبه يعلق فيه وينسى الرهبنة ، وطوراً يسمع في باطنه صوتاً خفياً يدعوه الى غاية اسمى ، فينكمش عن العالم وينكب على الدرس ومطالعة الكتب المقدسة وقصص القديسين والمتوحدين ، أو يمضي بعضاً من وقته بالحديث الروحي مع رفقائه المذكورين

ولكن لله في محبيه مواقف لا يحجم ان يسمعهم فيها صوته جلياً كما اسمعه لموسى في وسط العليقة لئلا يطول ترددهم في دعوته فيجتذبهم العالم الى صداقته . لما بلغ عبد الاحد الثامنة عشرة من عمره سمح الله بوقوعه في مرض شديد أوصله الى حافة القبر . فانفتحت عيناه على الآخرة ورأى ان الرهبانية هي الطريق الامينة التي توصله الى السعادة الحقيقية . فاخذ يشغل الايام الطويلة التي اضطر فيها الى ملازمة الفراش بقراءة الكتب الروحية وخصوصاً مطالعة كتاب سلم الفضائل للقديس يوحنا كليما كوس وكتاب « بستان الرهبان » حيث كانت افكاره تسرح بانشراح « فيسمع صوت الرب في النسيم المتردد بين اشجاره الفردوسية» فوثق من دعوته الرهبانية وصمم على هجر الاهل والخلان سعياً وراءها في ربوع لبنان . وصار يتحين الفرص لاستئذان والديه فتقوم المصاعب في وجهه . خصوصاً ان مرضه وصبره ونجاته زاد تعلقهما به

واصبح باجتهاده ورزانته موضوع آمالهما الاكبر بين كل اخوته .

فتريث واندفع مع رفاقه في تحصيل العلوم العالية على يد ملفان عصره وفخر زمانه الخوري بطرس التولوي استاذ العلوم المنطقية والشرعية والطبيعية والفلسفية واللاهوتية (يحصي الاب جرجس منش المطران عبد الله بين تلاميذ الخوري بطرس التولوي . المشرق ٦ : ٧٧٤ . راجع ترجمة هذا العالم في المشرق ٦ : ٧٦٩ وما يليه) وكان يجتمع بهم يومياً ويخوض معهم في بحار هذه العلوم الواسعة الجميلة . واذا ما فاتحهم بامور العبادة والزهد في الدنيا كانوا يصغون اليه بانبساط ويؤمنون بلهف على كلامه وفي صدورهم جزوة من ناره . ولكن كان كل منهم يحجم عن التصريح بامنيته حرصاً على عرض قلبه. وللنفوس الابية حرمة يغارون عليها اكثر من غيرة العاشق

بقي على هذه الحال الى الحادية والعشرين . فلاحظ يوماً في جبريل حوا وميض ميل كميله فلم يتردد وكاشفه برغبته في ان يترهب في احد ديورة لبنان لينخرط في جندية الرب ويحمل نيره ويفتخر بشعاره ويمشي وراء رايته . فسر صديقه بذلك واظهر له مكنونات قلبه، فجاءت صورتها مماثلة لصورة معشوقته . وتعاهدا على السفر معاً الى لبنان بعد استئذان والديهما .

فسمح والد جبريل حوا لابنه بعد تردد قليل . ولكنه كالأب العاقل امره ان يقصد اولا الى ميناء طرابلس الشام بحجة التجارة ومن هناك يصعد الى كرسي البطريرك اسطفان الدويهي نسيبهم فيستشيره ويختبر حال البلاد وسكانها ومعيشة رهبانها، حتى اذا آنس من نفسه المقدرة على الثبات في الطريقة الرهبانية اقام هناك « ووعده والده ان يعينه مدى حياته» . (اللبودي في المشرق ١٠ : ٦٢٨)

ولما علم عبد الاحد بنجاح صديقه تشجع واطلع اباه على سره طالبا رضاه وبركته. فمانعه والده محتجاً بنحافة جسمه وشدة برد الجبال وشظف عيش رهبانها ، فضلاعن جهله لامور العالم ومرارة الغربة وصعوبة أسر النفس ولجمها عن المحللات . وكانت الطبيعة تتكلم بلسان والده بكل ما لديها من حنان ، وتعرض على الشاب اشهى ما عندها

من المشوقات العالمية . لكن عبد الاحد لم يصبُ اليها بل ارتمى على قدمي والده وتوسل وبكى في سبيل امنيته المرّة حتى رق قلب والده. والمحب يندفع في ارضاء محبوبه وإن داس على قلبه . لكنه شرط عليه ان يبقى الى فصل الربيع الدافىء فيسافر مع الحجاج قاصداً الاراضي المقدسة بحجة زيارتها شأن كل مسيحي . ثم يعود بطريق البحر ويعرج على لبنان كمن يرغب في السياحة وترويح النفس . حتى اذا رأى بأم عينه وخبر بنفسه حالة البلاد والديورة وشعر بمقدرة على سكنى الجبال واحتمال معيشة الرهبان لبث هناك . والاّ رجع الى حضن والديه كمن عاد من الحج . هكذا كانت حكمة الاقدمين .

ففي شهر تشرين الاول من سنة ١٦٩٣ سافر جبريل حوا الى لبنان حاملاً تجارته ، راغباً في الارباح السماوية عن حطام الدنيا . ولم يكن أحد مطلعاً على سره غير والديه وصديقه عبد الله ، الذي وعده بان يوافيه الى هناك . لكن يوسف البتن احد اترابهما احس بمؤامرتهما الروحية فجاء الى عبد الله وطلب ان ينضم اليهما فقبله فرحاً

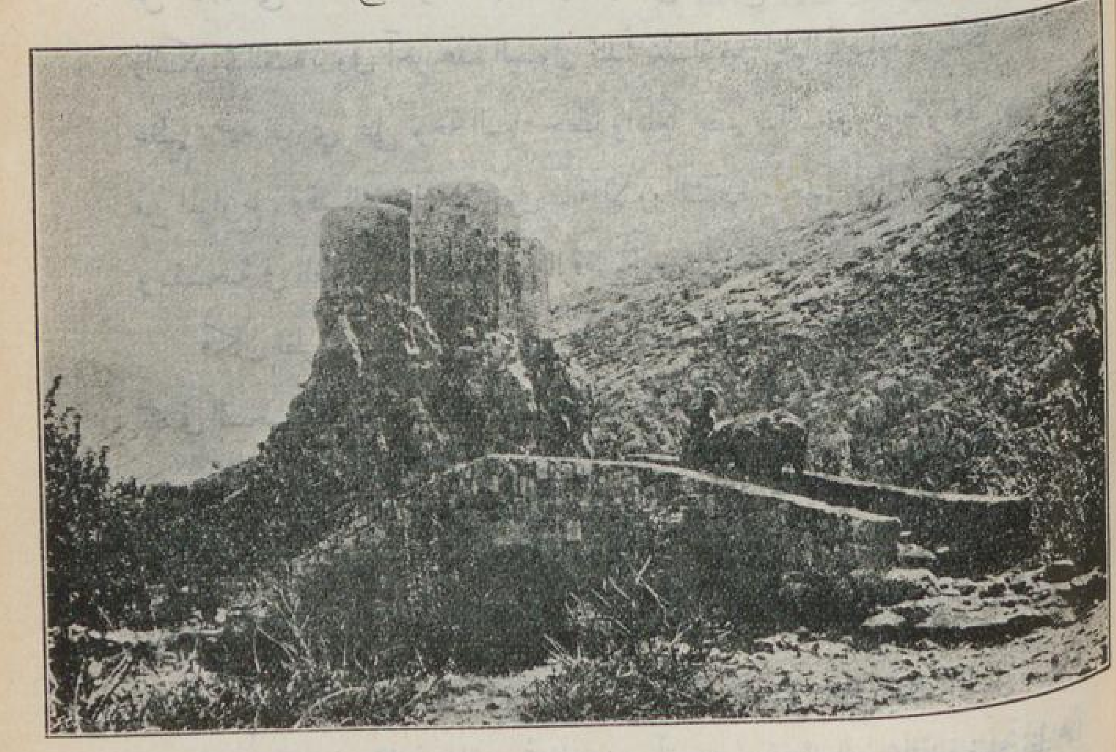
٥ — سفره الى لبنان

وفي ربيع سنة ١٦٩٤ قاما للحاق بصديقهما بصحبة الحجاج عن طريق دمشق. فقطعا السهول والجبال والانهر الى ان وطئت ارجلهما الاراضي المقدسة حيث تتبعا آثار المسيح في اورشليم وتبركا من قبره وبكيا عند جلجلته واستمدا منه القوة على حمل صليبه والاقتداء بسيرته . ثم قصدا يافا ومنها ركبا البحر الى جبل لبنان .

ظلت الرياح تقذف بمركبهما ، وشطوط حيفا وعكا وصور وصيدا تستقبلهما وتودعهما الى ان اطلا على بيروت عروسة البحار المدللة . وهي منبسطة على الرمال الذهبية وقد اسندت رأسها الى الجبل واتشحت بحلة رمادية موشاة بخطوط خضراء زادت شمس الربيع الوانها نضارة وزهاء ، وكانت الامواج المزبدة تداعب قدميها ومظلات النخل والصنوبر ترفرف فوقها كأنها ملكة لبنان ، وهي تنظر باسمة الى اليم الفيروزي ، والمراكب والقوارب تروح وتجيء امامها كالخدم والحشم حاملة

اليها والى القرى جواريها الملبوسات الناعمة والمفروشات الفاخرة والمأكولات اللذيذة

ثم اقلع بهما المركب قاصداً مدينة طرابلس . فأخذت جبال كسروان وجبيل والبترون تمر امامهما بقراها وروابيها وأوديتها كأنها مناظر متحركة حتى بلغا قلعة المسيلحة. وهي طود عظيم تقدم غير هياب في وسط اليم وفي بطنه كهوف ونواويس وآثار هياكل لجبابرة الفينيقيين اهل هذه البلاد الاولين . وقد سكن بعدهم في العصور النصرانية هذه المغاور نساك انقطعوا فيها عن البشر لا يرون امامهم الا جدرانها وسقوفها العابسة وهواتها العميقة ودهاليزها الحالكة ثم وجه البحر العجاج المتلاطم تحت ارجلهم ، وفوقه في السماء المنبسطة ، وجه الرب الصبيح



منظر مضيق الشقعة وقلعة المسيلحة

وما زالا متفرسين في هذا الرأس الضخم معجبين بعظمته وجبروته حتى لفت سمعهما ضجيج هائل قام حول جزر صغيرة بارزة على وجه البحر . فاذا بالامواج تتألب عليها وتدور حولها مزبدة مرغية ، وقد علا صياحها وهاجمتها من كل جهة ولطمتها لطمات عنيفة متواترة . فكانت المياه تتطاير فوق رؤوس الصخور شعاعاً وشهبا ثم

تنتثر في الفضاء وتنصبّ عليها منحدرة من نخاريرها سيولا غزيرة ، أو تتساقط بَرَداً على صفحة البحر الزرقاء

ولما بعد المركب عن هذا المنظر المهيب وهذا الضجيج المزعج صار سكون وهدوء . ثم انكشف لهم فجأة مشهد اعظم مما سبق كأنه كان مخبوءاً وراء ستار . ففي الصف الاول ظهر ثغر طرابلس يبتسم لوجه اليم الازرق الزاهي كاشفاً عن أسنان لؤلؤية هي صفوف بيوته البيضاء . ووراء هذا الثغر جنائن غناء تغطي بقعة واسعة متموجة بالاشجار تصل المدينة بالجبل . وقد تسلقت البيوت كتف الجبل وازدحمت كي تشرف من اعلاه على هذه المناظر الخلابة . وخلفها على مسطح عال تنبسط سهول زغرتا والكورة الغنية . وفي آخر هذه السهول تبدأ سلسلة من الجبال صاعدة بشكل هلال عظيم رسمه الباري على لوحة السماء خطاً واسعاً يضم غابات واودية وتلولا ومئات من المزارع . وقد التف اعلاه حول غابة الأرز الشهيرة متخذاً الواناً وردية في النور وبنفسجية في الظل بلغت الغاية من الرقة . وترصعت اخاديده بالثلوج كصفوف اللآلي

فكان نظر المسافرين يدور في هذه البقعة حائراً معجباً حتى اذا بلغ الى قممها تاه في السحب اللامعة الشفافة التي تجللها وتصلها بالافق الذي لا نهاية له .

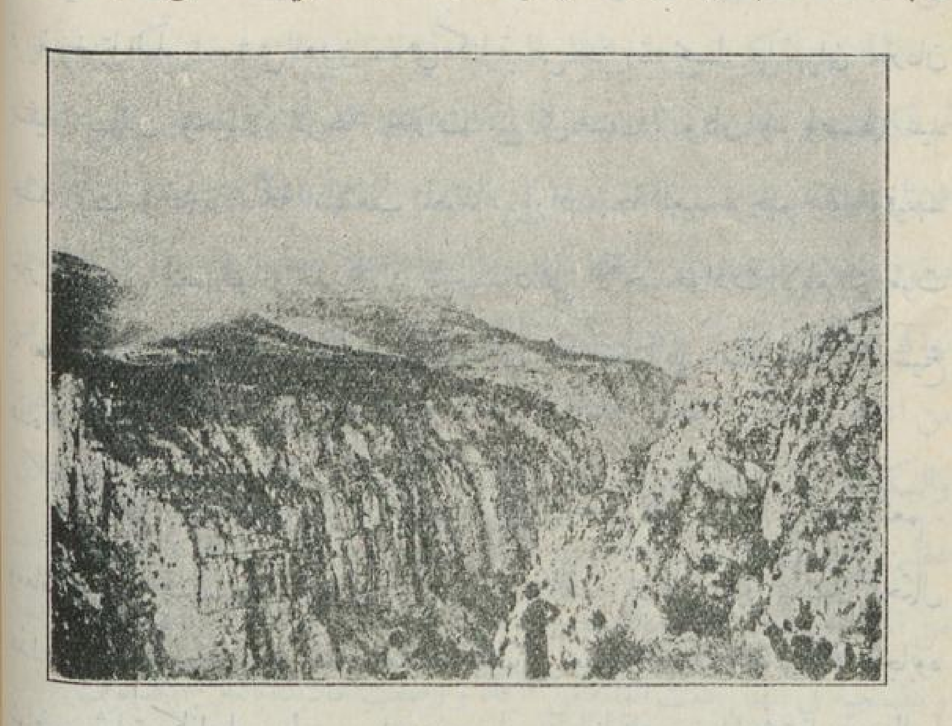
فاخذا يتساءلان هل هما في يقظة ام تحت سلطة الاحلام . ولكن هل تستطيع مخيلة البشر ان تتصور ما ابدعت في صنعه يد الخالق قبل ان تجده في الطبيعة . وكأنه عز وجل احب ان يبقي لبني آدم صورة من جنة عدن التي طرد منها أبوهم فاوجد لهم هذه البقعة للذكرى . فتذكرا حينئذ ان في اعالي هذه الجبال مكاناً يدعى « اهدن » اي جنة عدن ، كانا سمعا بوصفها وهي التي يقصدانها . فعاد نظرهما يرفرف محلقاً في اعلى تلك القمم باحثاً عن موقعها . فالتقى جهة الجنوب على شاهق بقرن « قيطو » الشامخ ، وازاءه شمالا قمة جبل « سيدة الحصن » الذي كان واقفاً في الفضاء مستديراً كالتاج . والصخور مصطفة على جبينه كالحجارة الكريمة . فعرفا انه تاج اهدن عروس هذه البلاد .

وبعد ان نزلا الى البر ركبا قاصدين وادي قنوبين القريب من الارز، حيث كرسي البطريرك الماروني. فاجتازا اولا غابة واسعة من شجر الزيتون اوصلتهما الى قرية زغرتا العامرة مشتى اهدن . وهي كناية عن جزيرة يحيط بها نهران مترعان يسقيان بساتين وحقولاً تدر لها الخيرات من كل صنف . وكان يوم وصولهما عيد جسد الرب والبلدة مائجة بالشعب المعيّد . وزاد بهجة العيد فرحهم بلقاء رفيقهما جبرائيل حوا . فتصافحوا واخذ كل فريق يسرد على الآخر حوادث الايام التي مرت به بعد فراقهم وما لاقوه من الغرائب والعجائب . ثم اتفقوا على السفر حالاً الى شيخ هذه البلاد البطريرك اسطفان الدويهي .

ولما مثلوا بين يديه واظهروا له رغبتهم في الترهب قال لهم « انتم ذوو تنعم . ومعاش الجبال قشف والحروب في البلاد وسفك الدماء متصل . فهل يمكنكم احتمال هذا ؟ ثم انكم لعاجزون عن شغل الفلاحة وتحمّل معيشة الرهبان القاسية » فاجابوه بتواضع وثبات كما اجاب بطرس سيده : نعم يا سيد اننا قادرون ان نحتمل » وطلبوا منه بالحاح رضاه ومساعدته (راجع اللبودي في المشرق ١٠ : ٦٢٩) فمال الى قبول طلبهم ولكنه اشار عليهم ان يختبروا اولاً بانفسهم طريقة رهبان البلاد ويختاروا الدير الذي يلائمهم . فمكثوا لديه زماناً زاروا في اثنائه اكثر ديورة البلاد . وكانوا يرون في رهبان دير قنوبين مثالاً حياً لغيرهم .

ودير قنوبين مغارة عظيمة سدّت بالبناء ، واقعة في الجنب الايمن من وادي قديشا تحت غابة الارز العظيمة. يعزى تأسيسه الى أحد تلاميذ القديس تاوذوسيوس منظم الطريقة الرهبانية الذي توفي في آخر القرن السادس للمسيح (راجع مقالة الاب لامنس اليسوعي في ديورة لبنان. المشرق ٤ : ٢٦٥) وفي جداري هذا الوادي العميق كهوف وحفر عديدة مأهولة بالنساك تراها فاتحة اشداقها المعتمة في فضاء ذلك الوادي العميق وقد كثرت حولها الحشائش والنباتات والاشواك المتدلاة

في الفضاء. وملأ عجيج النهر فراغ هذا الوادي وامتزج باصوات تسابيح المئات من العباد صاعداً معها الى السماوات ليحرك قلب الآب الازلي شفقة على مخلوقاته



شفير وادي قديشا فوق قنوبين

الفصل الثاني

الرهبانية القديمة في لبنان

١ — في دير طاميش

اذا رغبنا في الوقوف على اهمية الاصلاح الذي تم على يد المطران عبد الله قرالي مؤسس الرهبانية اللبنانية وجب علينا معرفة الحالة التي كانت عليها الرهبانية قبله

كانت روابي لبنان تحمل على رؤوسها عدداً لا يستهان به من ديورة رهبان وراهبات ، وتضم اوديته بين اجنحتها مساكن كثيرة لهم ، وكانت صخورها تأوي بين شقوقها نساكاً كثيرين انقطعوا فيها عن الناس وحرموا انفسهم راحة البيوت

المنظمة والملاذ المستحلة . ولم تكن رابطة بين هذه الديورة ولا قوانين ولا أنظمة لساكنيها المعروفين « بالعباد » . وكانت الديورة مزدوجة اي مقسومة بين الرهبان والراهبات ، اللواتي كن يقمن بخدمة الرهبان في الطبيخ والغسيل وما شاكل ذلك ويشاركنهم في الكنيسة والمعاش والخضوع لرئيس واحد .

وكانت فضائل سكان الدير وبساطتهم تبعد عنهم كل الظنون السيئة .

ولم يكن الحلبيون يفكرون عند مجيئهم الى لبنان بادنى تغيير في طريقة ديورة لبنان ، لكنهم لم يكونوا مطلعين على حقيقة امرها . فلما سنحت الفرصة لعبدالله بمعرفتها رأى ان في اختلاط النساء بالرجال خطراً عظيماً على فضيلة الطرفين وان في عدم التقيد بنذور واضحة وقوانين وانظمة مقرّرة فرصة واسعة لعدو الخير لاقلاق ضمائر الرهبان وتحويل نياتهم في عمل الخير والعبادة عن محجتها ودفعها بسهولة في الطريق العوجاء . فضلا عن ان استقلال هذه الديورة بعضها عن بعض يفقدها القوة الادبية والاقتصادية التي هي اكبر ضامن لنجاح الجمعيات وحفظ كيانها ومساعدتها على اعمال الخير العظيمة .

وقد جرب عبد الله طريقة هؤلاء العباد للمرة الاولى في دير طاميش كرسي المطران جبرائيل البلوزاوي اسقف حلب ، الذي انشأه سنة ١٦٧٣ واكثر له الارزاق حتى اصبح من اعظم ديورة كسروان . وقد بناه بقرب كنيسة قديمة لمريم العذراء مشيدة على اطلال معبد « ارطاميس » ابن الزهرة ، فعرف بدير طاميش . وهو واقع في قاطع كسروان على كتف وادي نهر الكلب الأيسر وقائم على تل ضخم نبتت فيه شجيرات العفص والسنديان بين صخور رمادية مستديرة تخالها عن بعد قطيع غنم يرعى في المروج .

واتفق ان جاء المطران جبرائيل الى دير قنوبين حيث كان الحلبيون فتعرف بهم وسر سروراً كبيراً بعزمهم على الترهب في لبنان ودعاهم الى ديره طاميش . ولنسمع الآن عبد الله يقص علينا في مفكراته ما جرى له ولرفيقه يوسف البتن في

هذا الدير . ولا بد ان القراء يفضلون طلاوة حديثه و بساطته على كلامنا . قال :

« فارسلني المطران جبرايل ازور دير طاميش في كسروان فمضى معي اخي يوسف وشماس المطران وكان يدعى موسى الذي فيما بعد ترهب معنا وسيجيء ذكره في حينه . ومكثنا في دير طاميش باقي الصيف نحو ثلاثة اشهر وكان فيه تسعة رهبان والمطران وكثرة من الراهبات يسكن ناحية عن الرهبان . وكان ترتيبهم كباقي رهبان البلاد لا ينذروا النذر الرهباني انما يلبسون زي الرهبانية في اي يوم اتفق كنحو رأي المتقدم في الدير ، مع صلاة قليلة يصليها عليهم الذي يلبسهم الاسكيم وعلى الغالب كانت المطارين تلبس الاسكيم الرهباني لا رؤساء الرهبان . وكان التزامهم بنذورات الرهبنة شكل تسلم ومفهوم العقل فقط من غير اقرار النية . والرئيس الذي يرأسهم في غياب المطران لم يكن اسمه عندهم رئيس بل يدعونه باسمه . وهكذا رؤساء كل الديارات لم يكونوا يدعونهم الا باسمهم قس فلان . وكلمة «ابونا الرئيس» لم يكن لها وجود في بني مارون اصلاً »

« ولم يكن عندهم ايضاً حدود لتجربة المبتدئين ولا حركات سجدات الرهبان للرؤساء وقوانين التأديب الرهباني بل كانوا سائرين بسذاجة صالحة للصالحين وخطرة لغير الصالحين . »

« وكان مطبخهم و كرارهم وغسل ثيابهم والخياطة بيد الراهبات الساكنات بحذائهم في مكان عزلة ، كما هي عادة بلادهم ، والكنيسة مشتركة بينهم »

(« لها تابع)



احسن ما جادت به القرائح السورية

جواهر أميرة

« حسبي فاني قد رأيتُ جواهري »

اتحفنا حضرة الشاعر الكبير واللغوي القدير

اسعد افندي خليل داغر

بالقصيدة التالية التي نظمها لقراء المجلة . فنشكر لحضرته تكرمه بهذه الجواهر

ما يرغبُ الانسانُ في تبيانه ... بيراعه يُبديه أو بلسانه
بهما يترجمُ عن خيال خاطر ... في باله أو طائف بجيانه
إذن اليراعُ معبّر عن فكره ... أما اللسانُ فترجمانُ الخاطرِ

☆ ☆ ☆

لكن كثيراً ما اللسانُ يُقصّرُ ... ملتعثماً في وصف ما نتصوّرُ
وكذا اليراعُ يكلُ عن إيضاح ما ... في بال صاحبه يمرّ ويخطرُ
هذانِ كلٌّ منهما في نشره ... مافي مطاوي الذهن أقصرُ قاصرِ

☆ ☆ ☆

يصفان فكرَ المرء وصفاً مجملا ... أما إذا ما رام تفصيلاً فلا
ومن الخواطر ما يدلُ فلا نرى ... لفظاً على المعنى يجيء مفصلا
ولربّ معنى يستبيك بسحره ... وعلى البلاغ اليه لست بقادرِ

☆ ☆ ☆

أما الدموع فانها لتعبرُ ... عما يحس به الفؤاد ويشعرُ
إن خانَ صاحبهُ الكلام فدمعه ... يجري ويظهر للورى ما يضمرُ
وتراه مذياعاً يبوحُ بسره ... وكم استباح الدمع هتكَ سرائرِ

نُبئت أن أميرة عزمت على　　عمل يخلد ذكرها بين الملا
ولأجله ما ابطأت في بيعها　　ما تقتنيه من الجواهر والحلى
وبجعلها ثمن المبيع باسره　　وقفاً على العمل الجليل الباهر

☆ ☆ ☆

طلبت به انشاء مستشفى لمن　　يتجرعون من الضنى غصص المحن
ولبؤسهم لا يستطيعون الشفا　　إذ يقتضي استشفاؤهم اغلى ثمن
كل ينوحُ أسى لشدة فقره　　وينئ من جور الزمان الغادر

☆ ☆ ☆

شيد المصحُ نجاء مستشفى كما　　شاءت وبات لمعشر المرضى حمى
فيه الاميرة للمريض معدة　　خير الدواء وللجريح البلسما
عمل مجيد يستفاض بذكره　　غيث البيان على لسان الشاعر

☆ ☆ ☆

واذا بموكبها الاميرةُ مقبله　　وبمطرف المجد الأثيل مسربله
جاءت اليه تعود مرضاه الألى　　يدها عليهم بالمكارم مفضله
والفضل روض ناشر من زهره　　طول المدى عرفَ الثناء الوافر

☆ ☆ ☆

وقفت امام سرير كل منهم　　تسليم إشفاق عليه تسلمُ
بسؤاله عن حاله مهتمة　　تعنى به وله تبش وتبسم
فيود لو يقضي بقية عمره　　بحنوها السامي قرير الناظر

☆ ☆ ☆

حتى أتت قدام آخر مدنف　　ولسانه بالشكر قصر. لم يف
لكنها لما رأته مسبلا　　دمعاً غزيراً مثله لم يذرف
صاحت وأدمعه تسيل بنحره　　حسبي فاني قد رأيت جواهري

فبدمعه نطق المريض معبراً عما اللسان ارتد عنه مقصرا
وأرى الاميرة أن ما بذلته لم يذهب سدى بل طاب فيه وأثمرا
فلوصف عرفان الجميل وشكره لا شيء أبلغ من دموع الشاكر

اسعد خليل داغر

نساء ونساء — هناء وشقاء

للشاعر الرقيق نجيب افندي كرم

عزاء المرء في الدنيا النساء وهن شقاؤنا بئس العزاء
ولا اعني نساء السكون طرا فذا مرض يعز له الدواء
فمن انثى على رأسي وعيني ومن انثى يعيب بها الثناء
فهذي تستحق القلب مهدا لراحتها وتلك لها البلاء
يكرمها جميع الناس دوما وقلب الزوج يملأه الهناء
اذا ما الدهر بان له عبوسا ولاح جبينها برز الضياء
تشاطره المصائب كل حين وحول الدهر عندهما سواء
بجانبها يصير المر حلوا وعذب كلامها ابدا شفاء

وتلك !

وتلك تدور تسهر كل ليل وتقضي العمر تصنع ما تشاء
ولا تهتم في الدنيا بامر سوى «كورسه» يزينه الغطاء
فتعصر فيه قامتها وتمشي فيخشى ان يمس بها الهواء
اذا ما الزوج عاد بدون جوخ لفسطان فليس له عشاء
تريه العيش في دنياه مر ولا تهتم ما شاء القضاء
يقول — ايا اله السكون خذها وخلصني فما منها رجاء

وعزرائيل يخطف منكَ روحاً تجاوبه — وقد طار الحياء
فيتركها ويسرح في البراري ولا يحلو له ابداً بقاء

☆ ☆ ☆

فيا ربي أنر عقلي وقلبي اذا ما صادني يوماً بهاء
فان كانت جهنم في زواج وكان لعبدكم فيها جزاء
فاني اطلب الغفران ربي واهرب اينما جلست نساء !

في عالم الفنون والاختراع

بطل الملاكمة في العالم لبناني

روت احدى المجلات المكسيكية ان بطل الملاكمة « توني » الذي فاز في الملاكمة الاخيرة على دمبسي بطل الملاكمة الاميركي وانتزع منه لقب بطولة الملاكمة في العالم هو لبناني من اهدن واسمه الحقيقي « وديع بطرس توما » وهو حفيد بطرس توما احد رفاق يوسف بك كرم الذي تروى عن بطولته الاعاجيب، اتت به عائلته من اهدن وعمره سنتان فقط فنشأ وترعرع في الولايات المتحدة واصبح فيها البطل الشهير . واذا نظرنا الى لفظة « توني » وطريقة لفظها بالانكليزية والى لفظة «توما» جاز لنا ان نعيد الاسمين الى مصدر واحد عن جريدة فلسطين

اقوى رجل في العالم

لقد بلغ السوريون المهاجرون شوطاً بعيداً في الرقي والنبوغ والغنى. فمنهم من نبغ في العلوم ، ومنهم في التحرير ، والتجارة ، والاختراعات ، والرياضيات والقوة حتى انهم فاقوا نوابغ البلاد التي نزلوا عليها ،

ومن هؤلاء النوابغ الذين طالما ذكرنا عنهم ما يلذ ويفيد ، نابغة القوة البدنية المواطن الشهير الاستاذ اسكندر طنوس الحايك (بجه) نزيل نيو كاسل بنسلفانيا في الولايات المتحدة . فهو ولا جدل اقوى رجل في العالم اليوم كما تشهد جميع الجرائد الاميركية والاوربية التي طالما عقدت الفصول الطويلة عن المواطن المذكور .

فلقد طاف هذا الجبار — الذي اطلقت عليه الجرائد لقب « شمشون » — جميع عواصم اوروبا ومعظم مدن الولايات المتحدة الشهيرة وفاز في جميع مواقعه على كل من بارزه من مشاهير الاقوياء والمبارزين فأعطي بكل حق لقب « اقوى رجل في العالم » وانهالت عليه كتب الثناء والتشجيع واوسمة الشرف من الملوك والملكات والرؤساء ، ولم يزل مستعداً لمنازلة جميع المبارزين .

فهو يحمل على يديه الممدودتين ٣١٢ بوند مع رجلين وزن كل رجل منهما ٢٥٠ ليبرا . وبينما هو ملقى على ظهره يقف دفعة واحدة بجميع هذه الاثقال، الى غير هذه من الالعاب الدالة على القوة الغريبة المدهشة

عن جريدة العلم (لبنان)

الرؤية على بعد آلاف الاميال

التلفون الاثيري أي الكلام تسمعه على بعد ألف وألفي ميل بلا سلك ولا اي واسطة سوى الأثير هو حقيقة الآن لا يقول بها الناس بل يمارسونها. فالصبي قبل ان يذهب الى فراشه يضع السماعة الى أذنه فيسمع المواعظ أو الاغاني او القصص التي ترسل اليه محمولة على أمواج الاثير. وهذا الاثير شيء لا يعرفه أحد ولكننا نفرض وجوده لانه ينقل الصوت . وجميع أمم العالم المتمدين تتمتع الآن بالتلفون الاثيري حتى الفلاح في مزرعته يسمع أغاني الأوبرا، والاندية القروية تسمع خطب عظماء السياسيين في العواصم الكبرى .

ومما يسرنا ذكره ان أحد السوريين وهو المسيو بطرس الطويل قد صنع جهازاً يمكن من رؤية الشخص الذي تخاطبه بالتلفون . وقد نشرت الجرائد العلمية نبذاً كثيرة عن اختراعه هذا، ويرجى ألا يطول الوقت قبل ان نراه في حيز التنفيذ. ويقال أنه سار شوطاً بعيداً في تحقيق اختراعه . واذا تحقق هـذا الاختراع الذي ذكرناه بصدد الرؤية الاثيرية فانه ستكون لذلك آثار بعيدة المدى في اجتماع الانسان وبنائه منازله ومعاشراته للناس . فانه سينفرد وتصبح العزلة شائعة بين معظم الناس، لان دواعي المعاشرة والاختلاط ستقل. فاذا كان للانسان منزل في الريف فانه لن يشعر فيه بسأم الوحدة لانه يمكنه عن سبيل الراديو ان يبقى على اتصال دائم باذنه وعينه مع سائر الناس . ففي اي وقت في النهار أو الليل يمكنه ان يطلب اصدقاءه فيحادثهم ويرى وجوههم . ولا يشعر بعد ذلك انه في حاجة الى ان يتعنى الانتقال والسفر للقائهم .

وافكار العلماء تتجه الآن الى ما هو أهم وأغرب من السمع والرؤية عن سبيل الاثير على بعد آلاف الاميال . فانهم يفكرون في إمكان تسيير السفن في البحار بواسطة الاثير ايضاً .

عن مجلة « كل شيء » (مصر)

نبوغ شرقي في البرازيل

جورج افندي كفوري ضابط من رتبة ملازم في البحرية البرازيلية برع في فن الطيران وقام برحلة رسمية من قبل الحكومة البرازيلية فطار من ريودي جانيرو عاصمة البرازيل الى ميناس جرايس فسان باولو ومنها قفل راجعاً الى ريودي جانيرو. وقد قطع في رحلته هذه ١٣١٥ كيلو متراً . وقد هنأته الحكومة على فوزه في الرحلة دفعة واحدة وبسرعة كبيرة .

عن « المصور » مصر

في عالم الأدب

سلمى صائغ

صاحبة كتاب « النسمات »

هل وقفت مرة بين اشجار الصنوبر على متحدرات التلال، وشعرت بتلك اللذة التي يحملها الى نفسك عبير نسماته المنعش؟ هكذا كان شعوري عندما اخذت كتاب النسمات وطفقت اقرأ فيه الرسالة تلو الرسالة. وكأني كنت ارى فيه نفس كاتبتها متألقة بين السطور، وانظر الى ناظريها تائهين في الفضاء كأنهما يرنوان الى ما وراء الدهور. اقول نفسها المتألقة. لان النسمات في الحقيقة مظاهر لشخصية حية تظهر بصراحة واخلاص — فكرة تسيل على القلم كما يسيل الماء العذب في ظلال الاشجار. وليست الكتابة الحقيقية الا الاخلاص وما الكاتب الحقيقي الا الذي يسفك شخصيته دماً او قرباناً او خمراً — يسفكها لانه صادق شاعر فاهم!

ليست النسمات ابحاثاً علمية غايتها التوصل الى الحقيقة عن طريق المنطق والقياس، ولا هي مقامات لغوية لاهم لكاتبها الا جمع شوارد اللغة ونوادرها والتمييز بين صحيحها وفاسدها، ففيها قد ينتقد اصل اللغة والبيان، بل هي نفثات قلب ملآن ورسوم مصور فنان ورغائب نفس رأت في الحياة ما رأت، فبكت مبتسمة وابتسمت باكية من غرائب الانسان! واي نفثات اصدق من نفثاتها في الامومة حيث تصور لك قلب الام المتقد بالحب وعينها البراقة بالرجاء وكبدها المقرحة من الحزن. « الى ابنتي » دعاء لطيف ترى النفس منقادة معه الى ان تسمع « عندما كنت اسقيك مذوّب قلبي واراك تنمين يوماً فيوماً بما تمتصين من ماء حياتي. كم تلذذتُ في تلك الساعات الطويلة وسكبت نفسي امام هيكل حبك، متمنية لو اعطيك كل ما في قلبي من

دم وكل ما في نفسي من قوة وكل ما في كياني من حياة » . جميل جداً هذا الشعور واجمل منه عندي برغم ما فيه من الم وحرقة ذكرها ولدها اذ تقول :

« لمس الموت تمثالي الحي فاصبح بارداً ، فاخذته الى صدري فهوى عني ومثّل لي وجود الموت ، فلم أخف الموت لاول مرة في حياتي . عانقته نفسي سألته مطمئنة وشعرت ان الموت قسم من الحياة وبقيت اتمرغ في حزني هادئة خاشعة كانني اكتشفت في دقيقة كل اسرار الارض والسماء »

« وهيفاء الديرانية ! » لعمري انها حكاية مؤلمة ولكن رواية « إنوك آردن » للشاعر العظيم تنسون مؤلمة ايضاً . ومع ذلك ترى في هذا الالم جمالاً يرفع النفس عن سخائف الامور . مسكينة هيفاء ! قد جار عليها الزمان فبكت لها صاحبة النسمات وابكتنا معها كثيراً . نسج اوهام ؟ كلاّ بل هي حقائق الحياة المؤلمة تصوّرها لنا الشاعرة الكاتبة باجلى بيان . اقرأ « تعبت من المدينة » « واجراس العيد » التي تجاري فيها تنسون « وموجة السرور » بل اقرأ جميع الكتاب واجلس في هذه الروضة الادبية الانيقة ، فترى هناك روحاً او شخصية ظاهرة — تسيل في الكلمات — نفساً مبرقعة بالسرور والحبور ولكنها نفس متألمة جداً — امرأة تعارك وتجاهد الايام بما فيها من رقة وفهم واقدام

هكذا رأيت السيدة سلمى صائغ في كتابها « النسمات » ومهما حاولت الابتسام فيه بعزمها وقوة ارادتها ، فان في نفسها مجرى عميقاً يسيل تحت ظلال عميقة — مجرى يجعل هذا الكتاب تحفة من التحف الادبية .

ا . خ . م

عن مجلة « الكلية » (بيروت)

جامع التصانيف الحديثة

اصدر حضرة الاديب يوسف اليان سركيس الدمشقي كتاباً ضمنه بيان الكتب العربية التي طبعت في البلاد الشرقية والغربية والامريكية من سنة ١٩٢٠ الى سنة ١٩٢٦ . والحقه بفهرس ابجدي لاسماء مؤلفي هذه الكتب

وحضرته صاحب مجموعة لا تزال غير منشورة رتب فيها اسماء الكتب العربية المطبوعة من اول ظهور الطباعة الى سنة ١٩١٩ . وامام كل كتاب ترجمة مؤلفه . فتكون هذه المجموعة النفيسة تاريخا لآداب اللغة العربية وفهرساً شاملاً لكتبها . والكتاب الذي نشره الان هو ذيل لهذه المجموعة ومكمل لها . وهو يشتمل على ١٧٠ صفحة بقطع متوسط ويطلب من مكتبة المؤلف بشارع الفجالة رقم ٥٤ بالقاهرة .

جريدة المطبعة الكاثوليكية في بيروت

نشرت هذه المطبعة فهرس كتبها عن السنة الحالية مقسماً حسب المواد واللغات . ولا حاجة الى التنويه بالخدمات الجلّى التي قامت بها هذه المطبعة في سبيل التاريخ الشرقي وآداب اللغة العربية والمبادىء الدينية والاخلاق القويمة ، فهي اشهر من ان تذكر . وللمطبعة وكلاء في الشرق والغرب ومطبوعاتها مشهورة بالاتقان في الطبع وحسن التنسيق .

مسبك المطبعة المارونية في حلب

لسيادة المطران ميخائيل اخرس همة تشكر في سبيل العلم والدين . وقد اصبحت المطبعة المارونية بعنايته من احدث المطابع الشرقية طرازاً مع انها اقدمها عهداً . استحضر لها في المدة الاخيرة مسبكا للحروف عهد به الى رجل قضى حياته في فن الطباعة فانجز في مدة قصيرة صنفين من الحروف الاسلامبولية من اتقن واجمل و امتن ما اخرجته المسابك العربية ، وهما الحرفان النسخي والرقعي . فنشكر لسيادته هذه الخدمة .

باب الاخبار

القطر المصري

المهاجرة الى مصر — تناقش مجلس النواب المصري في قانون وضعته الحكومة لمنع دخول كل من يخشى شره والسماح لكل من يرجى خير منه . فلا يوصد باب المهاجرة الى القطر المصري ولا يفتح على مصراعيه ، كما كان قبلا. ولا يغرب عن البال ان البلاد المصرية لم تستوف بعد حاجتها من الصناع الماهرين والمشتغلين بالاعمال التجارية والمالية. وقد جنت من مهاجرتهم منافع عظيمة . واملنا ان تسهل الحكومة على مواطنينا دخول بلادها ليس لانهم من بلاد شقيقة في اللغة والاخلاق والعادات والمصلحة فحسب بل لان عنصر السوريين ساعد في نهضة هذا القطر مساعدة لا يمكن لمنصف انكارها وكان له يد تذكر في تقدمها وتنظيمها. وكان تشجيعه على المهاجرة من الحسنات التي اسداها البيت العلوي الكريم الى وادي النيل. ثم ان مصر لم تنل من هذا العنصر ولن تنل ادنى ضرر او انزعاج ، كما هو شأنها مع الاجانب . لان السوري اذا وطأ ارض مصر عد نفسه وطنياً وقام باخلاص واجتهاد بكل ما تفرضه الحكومة على المصريين من دفع الضرائب والعوائد والمحافظة على القوانين . ولم يلجأ قط الى امتيازات الاجانب ولم يقلق راحة الحكومة بسلوك سيء او بمبادىء متطرفة.

ويعرف الجميع ان السوري لم يتعاط قط في هذه البلاد غير الصناعات الشريفة كالتجارة والزراعة والتوظف والتدريس والصحافة ، وترفع عن كل المهن الرابحة التي تفسد الاخلاق كادارة محلات القمار والسكر وبيوت الدعارة وتهريب المخدرات، وما شاكل ذلك مما يتعاطاه بعض الاجانب وقد جمعوا من ورائه ثروات تذكر. فلا يصح ان تعامل الحكومة المهاجرين السوريين معاملة غير المرغوب فيهم بل املنا ان ترفع من سبيلهم كل الحوائل الموضوعة لمهاجرة العناصر الاخرى، وتشجع ادباءهم واحرارهم على الالتجاء الى بلادها كما كانت تفعل في العهد الحميدي

الروم الارثوذكس الوطنيون

رفع حضرة احمد حافظ عوض نائب باب الشعرية الى حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء السؤال الآتي :

سبق ان وجهت الى دولتكم سؤالا خاصا بانتخاب بطريرك كنيسة الاسكندرية للروم لارثوذكس والاحتياطات التي تتخذها الحكومة لصيانة السيادة المصرية وحقوق الدولة والدفاع عن طائفة غير قليلة من الوطنيين .

وقد تفضل دولة رئيس الوزارة فاجاب كتابيًا على هذا السؤال بانه «حتى الآن لم يصدق على انتخاب البطريرك ، ولم يصدر اي مرسوم بالحاق البطريرك المنتخب بالجنسية المصرية او بتقليده اعمال البطريركية . ويتوقف اصدار هذه المراسيم على حل هذه المسألة بما يتفق مع حقوق سيادة الدولة ومصالحها »

فهل يتفضل دولة رئيس الوزارة بالافادة عما تم في هذة المسألة حتى الآن ؟

واذا لم يكن صودق على انتخاب البطريرك فهل من حقه اصدار الاحكام في الاحوال الشخصية ؟

واذا صدر حكم منها فهل تتولى الحكومة تنفيذه ؟

واذا لم يقبل غبطة البطريرك حل المسألة بما يتفق مع حقوق سيادة الدولة ومصالحها فماذا يكون موقف الوزارة منه . . ؟

جمعية المساعي الخيرية المارونية — في ١٣ فبراير الماضي احتفلت هذه الجمعية بعيد شفيعها القديس مارون بدار النيابة البطريركية . وقد ترأس الحفلة سيادة المطران عبدالله خوري وخطب في اثنائها الشيخ حميد حبيش نائب رئيس الجمعية والاستاذ بولس غانم . وقامت جوقة من الشبان بتمثيل رواية «الغفران» للكاتب الفرنسوي فرنسوا كوبه وتعريب حبيب افندي جاماتي . وتخلل الحفلة اناشيد وانغام موسيقية قام بها بعض الهواة ونخبة من الآنسات وجوقة المدرسة المارونية . وقد تكرمت بالتوقيع على البيانو

حضرة الموسيقية الطائرة الصيت الآنسة فكتوريا ملحمه، وتلتها الآنسة الصغيرة ليزا زند فادهشت الجمهور ببراعتها وشجاعتها

وفي يوم ٢٣ من الشهر نفسه اقامت هذه الجمعية ليلتها السنوية في دار الاوبرا تحت رعاية جلالة الملك العظيم. فكان الاقبال عليها كبيراً.

النادي الكاثوليكي للشبيبة السورية — يبدي هذا النادي نشاطاً حرياً بالشباب الراقي بهمة هيئته وسكرتيره الاديب اميل زلزل. ففي ٢١ فبراير القى في قاعته حضرة اسبيرو افندي جسري محاضرة عن القديس فرنسيس الاسيزي. وفي ٣ مارس غصت قاعته لسماع خطاب اجتماعي للآنسة المفوهة ماري زياده. وفي ١٣ مارس نظم النادي لاعضائه واسرهم رحلة علمية الى اهرام صقاره تحت ادارة المسيو هنري مونييه كاتم اسرار الجمعية الجغرافية.

الكونت سليم دي شديد — فقدت الجالية السورية في مصر ثلاثة اركان منها، اولهم الكونت شديد المعروف في عالم المال والاعمال. اذ انه امّ القطر المصري مجهولا واصبح بجده وذكائه من اكبر اصحاب الاطيان والعقار فيه. توفي يوم ٢٣ فبراير بمصر الجديدة عن ٨٥ عاما بعد ان اتم واجباته الدينية وكتب وصيته الاخيرة التي اوقف بها جزءا من اطيانه لاعمال البر. فنقلت جثته الى كنيسة النيابة البطريركية المارونية حيث صلى عليها سيادة المطران عبدالله خوري الزائر البطريركي مع لفيف اكليرسه وستة مطارين وعدد كبير من اكليرس جميع الطوائف المسيحية. وغصت الكنيسة بجمهور غفير من علية القوم ومن مندوبي القناصل والجمعيات الخيرية المختلفة. وبعد الانجيل أبنه سيادة المطران عبدالله خوري وقرأ برقية تعزية وردت من غبطة البطريرك الماروني. ثم حمل النعش الى محطة القاهرة بموكب مهيب يندر ان ترى مصر اعظم منه. وفي اليوم التالي شيعت جنازته من محطة الزقازيق الى مدفن الاسرة.

قسطنطين قطه باشا — هو من الرجال العاملين وصفوة اهل الفضل والمروءة. تقلب في مناصب الحكومة المصرية حتى اصبح سكرتيراً اول لمجلس الوزراء. وقد

أظهر في جميع اعماله من الكفاءة والاخلاص والنزاهة ما جعله ثقة الوزارات المختلفة التي تعاقبت في الحكم . وانعم عليه بارفع ما ينعم به على الموظفين الاكفياء من القاب الدولة ونياشينها . وكان متجملا باحسن الصفات جامعاً الى استقامة النفس سداد الرأي وقارناً شرف المبدأ بحميد السعي . وكانت وفاته في اول الجاري رحمه الله

الدكتور توفيق صوصه — فاجأت المنية القومندور الدكتور توفيق ابرهيم صوصه بلا مرض سابق وهو في التاسعة والاربعين من عمر مضاه في خدمة العلم والابحاث الطبية حتى حاز شهرة واسعة . وقد نشرنا له بحثاً عنوانه «الطب في سوريا القديمة» (راجع المجلة ١ : ١٦٧) وكان يعد من اركان المعالجة بالاشعة في مصر . ومع تفوقه في الطب كان مولعاً بالفنون الجميلة حتى برع براعة عظيمة في فن التصوير الزيتي . وتحلى فوق ذلك بكرم الاخلاق والمزايا فكان محبوباً ومشكوراً من الجميع . وقد نال نشان الاكاديمية الفرنسوية من رتبة اوفيسيه ونشان تاج ايطاليا من رتبة شفاليه .

الاسكندرية

استرداد ترام الرمل — فكرت بلدية الاسكندرية في استرداد خط ترام الرمل من الشركة الاجنبية فتقدم أحد مواطنينا السوريين الخواجا ميشيل طراب وعرض على البلدية لتمكينها من الشروع في هذا الاسترداد شروطاً جاءت في مصلحتها . وقد رضي بكل الرغائب التي ابدتها البلدية لقبول عطائه وتعهد بان يودع في خزينتها عند اول طلب عشرة في المئة من مبلغ العطاء بمجرد صدور قرارها بقبول ذلك العطاء

محاضرة تاريخية — القى حضرة الاب العالم الخوري لويس ملحه الوكيل البطريركي الماروني في الاسكندرية في قاعة مدرسة الاميركان في الاسكندرية محاضرة موضوعها « تاريخ مدرسة الاسكندرية في عصريها الوثني والمسيحي » فكان لها النجاح الذي يتولى كل محاضرات حضرة الاب المذكور لما فيها من دقة البحث وحسن التنسيق والمهارة في استخراج النتائج العلمية .

طنطا — زار غبطة البطريرك ملاتيوس الاسكندري كنيسة القديس

جاورجيوس للطائفة السورية الارثوذكسية في طنطا واقام فيها صلاة رحب في اثنائها بغبطته حضرة الاب جرجس يعقوب خادم هذه الطائفة في طنطا . وانتهز غبطته هذه الفرصة فحث ابناء الطائفة على انشاء مدرسة لهم في هذه المدينة . فقام حضرة الاستاذ بديع بك قربه واظهر اعتزام الطائفة على تحقيق هذا المشروع ونوه بما قامت به جمعية « الشبيبة السورية » لانشاء هذه المدرسة . ثم قام خليل افندي ابو مراد رئيس هذه الجمعية وقدم لغبطته قانونها وذكر نجاح اعضائها في جمع مبلغ لا يستهان به في سبيل هذا المشروع وتمنى لو ساعد غبطته الجمعية بشيء من المال

لبنان

الخلاعة في بيروت — اختلس المسيو «غرين» محاسب ادارة السكة الحديدية ومن التبعة الفرنسوية ، مبلغاً ضخما يقدر بمئتي الف فرنك. ولما انفضح امره انتحر تاركاً زوجة فتية وطفلين . اما التي عرض نفسه في سبيلها الى العار والانتحار فراقصة او « ارتيست » من اللواتي نفحتنا بهن مدنية الغرب وحملتهن الينا بواخره .

وقصدت هذه العاصمة جوقة فرنسوية مطرودة من مصر فانزلت على الرحب والسعة واخذت تقوم بتمثيل روايات خلاعية منافية للدين والآداب .

ولما طفح الكيل رفع كهنة بيروت الى السلطة احتجاجاً لم تعبأ به .

وبعد ظهر احد الايام كان موعد تمثيل احدى تلك الروايات . فاجتمع اكثر من اربعة آلاف نسمة من النصارى معظمهم من الشبان ، وتوجهوا بمظاهرة الى قصر رئيس الجمهورية وتحولوا من هناك الى امام مسرح الكريستال مهددين بتحطيمه اذا قامت الجوقة بالتمثيل . فاهتمت الحكومة للامر واصدرت الاوامر بمنع الجوقة عن متابعة التمثيل ، وانصرف المتظاهرون الى منازلهم . فما كان اغنانا واغنى الحكومة اللبنانية عن مثل هذه المتاعب لو اقتدت بالحكومة المصرية ومنعت هذه الجوقة منذ البدء من تمثيل رواياتها .

الاختلاسات في دوائر الحكومة — قرأنا في جريدة الاهرام ما يلي :

الفضائح التي ظهرت في مختلف فروع الادارة اللبنانية تعود في اكثرها الى عهد الحكم المباشر . وفي كل يوم يطلع علينا نبأ جديد بظهور فضيحة في دائرة من الدوائر الرسمية حتى بات حديث هذا الخلل على كل شفة ولسان

وقعت اختلاسات في وزارة أوقف بموجبها بعض صغار الموظفين في السجن واحيل البعض الآخر الى مجلس تأديبي ولا يزال التحقيق فيها مستمرا . وقد أوقفت مجددا أمس مدام (ساسياس) المديرة الفرنساوية لمستشفى الامراض السارية بتهمة التواطؤ مع ملتزمي اعاشة المرضى

وظهر في دوائر الشرطة ان بعض رؤساء اقسام البوليس يشاركون المقامرين في ستر مخالفاتهم وانهم يتناولون عن ذلك مبالغ من المال لا يستهان بها .

ووقع اختلاس وتزوير وتلاعب في معاملات الجمرك . وظهر بعدئذ ان هذه الدائرة التي يديرها فرنساويون هي اكثر خللا من الادارات الاخرى ، وان هنالك مبالغ كبيرة من الاموال تتسرب الى جيوب السماسرة والموظفين ، وان المبلغ الذي يقدرون ضياعه على خزانة البلاد يزيد عن ١٥٠ الف ليرا عثمانية ذهبا . ولا شك ان السلطة ستعمد الى عزل مديري الجمارك الذين ظهر عجزهم وتخفف من عدد المستشارين الذي بلغ الستين في جمارك لبنان وسوريا وهم لا عمل لهم يوازي المعاشات الجسيمة التي يتناولونها ، واكثرهم كان يشغل في فرنسا وظائف تافهة لا قيمة لها

ومن اغرب امور مدير الجمرك الحالي انه نقل حبيب افندي ابو الروس مدير صالون تفتيش المسافرين على المرفأ الى وظيفة ثانوية في احدى دوائر الجمرك واستعاض عنه بفتاة لا خبرة لها ولا معرفة بشؤون الجمرك . مع ان حبيب افندي قضى عشرات السنين في هذه الوظيفة وهو مشهور باستقامته ووجاهته ونزاهته . ولا بدع فهذا مصير كل موظف شريف النفس في ادارة هذا العهد ، ولم نر موظفا وطنيا مخلصا استطاع الاستمرار في عمله الى جانب موظف اجنبي . ولطالما نبهنا السلطة الى ضرورة العناية في انتقاء موظفيها المنتدبين لمهمات في سوريا ولبنان لان هذا الاختيار وحده يصلح عملها ويجعل اسمها محترما مصونا من سهام الناقدين والمعارضين .

ومنذ ايام ظهر تلاعب جديد في ادارة الطرود الجمركية فقد اكتشف البوليس جمعية بين اعضائها بعض الموظفين تعمل منذ مدة على تهريب الاسلحة الحربية في الطرود البريدية تحت ستار « بضائع متنوعة » . ولهذه الجمعية فرع في مدينة (ستوغارت) بالمانيا كان يوافيها بالاسلحة على تلك الصورة . وظهر منذ يومين اختلاس جديد يقدر بعشرة الآف ليرة في تلزيم اعاشة المسجونين، وادارة السجون تابعة لوزارة الداخلية — وقد ايد التحقيق المالي وقوع هذا الاختلاس فاحدث ضجة كبيرة في الصحف والاندية الوطنية. واذا اضفنا الى هذه الفضائح فضيحة الادغام القضائي في تشكيل المحاكم وما هو معروف عن تلاعب بعض موظفي النافعة باموال الاشغال العمومية والطرق اتضح لكل ذي عينين ان جميع الوزارات والادارات اللبنانية مختلة مهشمة

في سبيل الاصطياف

وافقت لجنة السياحة والاصطياف في احدى جلساتها بالاجماع على مشروع شركة (الانجلو اميركان) المختص بانشاء فنادق في بيروت ولبنان ، وقد ذكرناها في الجزء الماضي ، وقررت اتخاذ التدابير اللازمة لتسهيل الحصول على جوازات السفر وتوفير راحة السياح والمصطافين عند نزولهم من البواخر في قاعة التفتيش ، وتقرر تأليف لجنة لهذا الغرض . وقد وعد المسيو دي ريفي الذي ترأس الجلسة باتخاذ التدابير لمنع الصعوبات التي يتعرض لها المسافرون في نقطة الناقورة بين فلسطين ولبنان

عبدالله البستاني — رأى خريجو مدرسة الحكمة في بيروت، وقد مضى على خدمة الاستاذ الشيخ عبدالله البستاني خمسين عاما في خدمة العلم، ان يحتفلوا بتكريمه. فدعت لجنة المتخرجين عدداً من تلاميذ هذه المدرسة السابقين فقرروا دعوة بعض من كبراء البلاد لينضموا الى هذه الهيئة وينتخبوا معًا لجنة عامة لتكريم عالم لغوي كبير هو بلا مراء من أئمة الناطقين بالضاد اليوم

الاستاذ جبر ضومط — يكمل الاستاذ جبر ضومط في هذه السنة ايضاً سنته الخمسين كخادم ممتاز للعلم والوطن . وقد تألفت لجنة من مريديه وعارفي فضله وقررت أن تقيم له حفلة تكريمية في النصف الاول من شهر مايو القادم .

اثر قديم في جبيل

استخرج المنقبون بلاطة من حفريات جبيل يرجع تاريخها الى ثمانية الآف سنة ويقال انها اقدم ما وجد من الاثار في جبيل حتى الان

طرابلوس — شبت النار بمعمل الخشب في اسكلة طرابلس لصاحبه كرم افندي كرم وتقدر الخسارة بما يزيد عن الفي ليرة ذهبية .

قصة حماري (تابع)

— ٥ —

في الاعالي

بعد ان مكثنا في ريفون عشرين يوماً اصبح في امكان حماري ان يقوم بسياحة طويلة في اعالي كسروان والجبة . فاستأجرت رجلاً عارفاً بطرق هذه البلاد وله المام بفن الطبيخ و بدأت رحلتي بالتوجه الى بلدة رعشين . وهي قرية متكبشة في قمة جبل صخري راقني منظره الوعر وعزلته .

ومن هناك قصدت « ميروبا » ومعناها بالسريانية « المياه العظيمة » وهي بلدة جميلة غارقة في الخضرة والاحراش والبساتين وفيها اشهى واجمل الاثمار . منها تفاح كبير الحجم ذكي الرائحة والطعم عسلي اللون . وفي اسفل ميروبا واد مكشوف يلمع فيه نهر رقراق بين صفين من اشجار الحور والدلب والصفصاف .

مضيت في هذه البقعة الغناء بضعة ايام اعادت الي ذكرى ايام الصبا واحلامها الجميلة . وكأني اودعت هذه الاحلام شعر الصفصاف المستحي المتدلي حتى الماء او قدودَ الحور الرشيقة واوراقه الفضية او اغصان الدلب العطر او بطن هذه المغر المسحورة التي تتدفق المياه من افواهها او حصى هذا النهر البلورية وصخوره الملساء ..

نعم وجدت هذه الاحلام اللذيذة بعد عشرين سنة تنتظرني في هذه البقعة الفردوسية تجددت فيّ ذكرى ايام الصبا ، حين كنت افرح لكل منظر جديد واضع آمالي في كلما

يبتسم لي في هذه الدنيا : في ام حنون او في بقعة خضراء او في مياه تنبع او في غصن يهتز او طير يغرد او نسيم يهب .

يا لايام الصبا ما احلاك وما اصفاك .

ثم قصدت الى مغارة افقا الشهيرة وعرجت في طريقي على عين القدح لارتوي من مائها الزلال . وهذه العين تخرج من صخر بحجم القدح لم اعرف في حياتي اعذب منها وأخف . ولم يكن حولها غير بعض فلاحين يعنون بزرع الذرة والحمص . فرغبت في الانزواء في هذه البقعة المنعزلة ووجدت فيها ابتسامة المروج ، وفي اعلاها وعورة الصخور المشرفة عليها ، وفي اسفلها حرشاً قديماً لم تطأه رجل انسان غريب منذ مئات من السنين . وهو آهل ببعض الطيور وبحيوان السنجاب ذات الفرو الناعم ، التي تعيش على الاشجار وتتغذى من اثمارها .

ولم تكن حول العين بيوت مبنية غير قبو تلجأ اليه المعزى في فصلي الربيع والخريف . فنصبت لي خيمة من شجر فرشتها بحصير مددت عليه فراشي الذي جعلته مقعداً لي في النهار . وكنا على علو الف وسبعماية متر عن البحر . وكنت انزل صباحاً مخترقاً الحرش القديم حتى اصل الى قرية قهمز المختبئة في اسفل الوادي لاقيم الذبيحة في كنيستها . ثم اصعد والطيور تهرب مني والسنجاب ترمقني بعين المستغرب فتختبىء في اعلى الشجر . فامضي النهار في القراءة والكتابة والنسيم النقي يتخلل اوراق الخيمة فيدخل بدون كلفة الى صدري فينعشه ويزيدني عافية . فقلت لو دفع الناس في استنشاق هذا الهواء النشيط ضعف ما يدفعونه للاطباء لكانوا الرابحين .

وكنت امتطي حماري في العصر والتجول في الضواحي واعود منها وقد ملأت سلتي بالاثمار اللذيذة واصناف العنب النادرة التي تثمر على دوالي هذه الجهات . منه « العاصمي » ذو الحب الكبير بحجم البيضة حتى ان عنقوده لا يقل عن الاقتين وزناً ، ومنه « البناتي » العسلي اللون الخالي من البذر ، ومنه « المسكي » وهو مستدير بنفسجي اللون يتعطر الفم من طعمه .

وكنت اجلس في المساء بين المكارية البسطاء اوزع عليهم قليلا من العرق وبعض السكاير فيقصون علي حكاياتهم وحوادثهم الغريبة ويطربونني باغانيهم الوطنية ومواويلهم الحماسية واشعارهم الزجلية . فتغيرت افكاري في الحياة وتحققت انه يمكن الانسان ان يعيش عيشة الطبيعة والخلاء دون ان يكلف نفسه جهد الفكر فيتجنب العناء والامراض. لان الباري خلق الارض وما عليها لخدمة الانسان واوجد في دماغه العقل لينتفع منها بحكمة . فنحن معشر الكتاب نسيء استعمال مواهب هذا الدماغ في التبحر والجهد فنفقد المنفعة المعدّة لنا في هذه الدنيا. فالمكاري يستفيد من عقله اكثر منا لانه يحسن استعماله في استخدام الطبيعة لمنفعته. فهو اذا أحكم منا نحن الذين يدعون الحكمة والفهم ..

وكان حماري اسعدمني ومن المكاري، فهو اذاً احكم منا نحن الاثنين . فقد لقي في هذه البقعة وهذه المعيشة فوق ما يشتهيه من مياه عذبة وحشائش نادرة وهواء نقي . فكان يرتع طول النهار في تلك المرجة ويلتقف من الحشائش الذها واوفرها عطراً ودسما، وكان الخادم يجمع له باقات « التيين » . وهي حشيشة مغذية للغاية تنبت في هذه الجهات، ولا بد ان تكون لذيذة لان حماري كان يلتهمها بشراهة وقد عفت نفسه اكل الشعير والتبن الجاف .

وطاب له المقام وسمن واشتد كالحصان . حتى اني لما عزمت بعد اسبوع على هجر هذا المكان لم يطاوعني الا مرغمًا . فقد احضره لي الخادم صباح ذلك اليوم نشيطاً فرحًا . فامتطيته ومشى الخادم امامنا حاملاً شنطتي الصغيرة . ولما وصلنا الى طريق الوادي تحول الحمار اليها، فارجعته عنها وسقته في الطريق العمومية التي كان يسلكها في العصر . فحرن . فصرنا نلاطفه تارة ونضربه اخرى، مع انه نسي من زمن مديد طعم العصا ، فلم يرضَ بل عاد الى الخيمة . فتعجب الخادم من هذا العناد الجديد . وقال لي : لا افهم سبباً له اذ اننا نسلك هذه الطريق كل يوم للنزهة . فاجبته لا بد انه انتبه الى ان مشوارنا هذه المرة رحلة طويلة لا نزهة . قال وكيف ذلك ؟

اجبت لاننا كنا نسلك هذه الطريق مساء لا صباحاً ، فيعرف انه عائد منها قبل الليل. ثم انه لاحظ الشنطة التي على كتفك فعلم اننا نترك هـذا المحل الى مكان بعيد. الا تتذكر اننا لما تركنا ميروبا الى هذا المكان مشيت امامنا كما تفعل الآن وعلى كتفك هذه الشنطة ؟ فقال وهل لهذا الحمار ذاكرة مثلنا ومنطق ليستنتج به ان حملي للشنطة دليل على سفر طويل ؟ اجبت انك لا تعرف مقدار ذكاء حماري . فان كنت لا تصدق فامش خلفنا وخبيء الشنطة وراء ظهرك. ففعل . ولما سقت الحمار بعد ذلك التفت خلسة الى الوراء فرأى الخادم يتبعنا ولم ينتبه الى الشنطة المخبأة وراء ظهره. فسار من غير تلكؤ.

فعجب الخادم من ذلك وهتف « ان احفاد هذا الحمار سيلدون ناطقين مثلنا . »

ولا حاجة لسرد كل وقائع حماري في سياحتي الطويلة الى العاقوره والديمان وحصرون و بشري واهدن وجوارها، فقد كان موضوع اعجاب الجميع في كل محل كنا نمر فيه . فكان خدام كل نزل يتسابقون الى خدمته وكان رهبان كل دير يهيئون له الذ عليق وانعم فراش . لان شكله الظريف وحركاته اللطيفة وخصوصاً عيناه البراقتان كانت تجذب اليه محبة واعجاب كل من يراه ويعاشره . حتى ذاع صيته في كل تلك الجهات .

وقد خلدتُ ذكره بقصيده زجلية نظمتها في مدحه ووقائعه كنت بدأتها وانا خارج من سوق بيروت، كما مر، فاتممتها وانا سائح على ظهره في شمال لبنان . فسارت على كل الالسنة واستوعبتها كل ذاكرة . حتى ان احد الفلاسفة لما سمعها اتخذها برهاناً قاطعاً على صحة مذهب التحويل . فصار ينادي بكل جرأة بمبدأ تحدر الانسان من الحيوان . بل انه توصل يوماً الى ان يجاهر امام تلاميذه العديدين بان بني البشر لو ظلوا تابعين لشهواتهم المنحرفة سيتأخرون عن الحمير في ميدان الرقي الجنسي والعقلي، فلا يعود الفلاسفة يعرفون هل الانسان متحدر من الحيوان او بالعكس"

ك . ق .

﴿ فهرس الجزء الثالث من السنة الثانية ﴾